تركيا بين الحنين لأحضان المسلمين والتطلع لرفاهية الغربيين

التوحيد

هدى النبي ﷺ في الاعتكاف

إسلامية - ثقافية - شهرية ■ تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ■ العدد ٤٧٧ - السنة الأربعون - رمضان ١٤٣٢هـ الثمن جنيهان

أحكام رمضانية
سؤال وجواب



رمضان شهر القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الأربعون

العدد ٤٧٧ رمضان ١٤٣٢هـ

رئيس مجلس الإدارة

د. عبدالله شاكر الجنيدي

المشرف العام

د. عبدالعظيم بدوي

اللجنة العلمية

زكريا حسيني محمد

جمال عبدالرحمن

معاوية محمد هيكل

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

"السلام عليكم"

اتقوا الله.. وخذوا من شهركم عبرة وعظة

تذهب الأيام والليالي سراعًا، والعام تطوى شهوره تباعًا، وسُنَّة الله في كونه قدوم وفوات، والله أكرم عباده فشرع لهم مواسم في الدهر تغفر فيها الذنوب والخطيئات، ويتزود فيها من الأعمال الصالحات.

وبين حسرة وألم، يجد الإنسان نفسه عاجزًا عن فعل شيء وسط انفلات في الأخلاق، أباح للجميع فعل السيئات، وارتكاب المنكرات بلا وازع سوى شهوة النفس، وحب الذات، وسطوتها وتحررها من كل ما هو مشروع، فراحت النفس غير الزكية تعبث بالمقدرات، تارة بالسير نحو العباسية للوصول إلى المجلس الأعلى العسكري، ومرة ثانية بغلق مجمع التحرير، وغلق الميادين، والبلطجة على المارين والجالسين، وثالثة بالتهديد والزحف لغلق قناة السويس!! وذلك دون تفكر ولا تبصر بعواقب الأمور.

رحماك يا رب، ارجعوا إلى ربكم، والتمسوا العفو والمغفرة في شهركم، ولتعلم أخي المسلم أن الصبر على حمأة الظمأ ومرارة الجوع ومجاهدة النفس في زجر الهوى أهون عند الله مما يحدثه المفسدون، وجزاؤه باب من أبواب الجنة؛ فاغتنم الفرصة قبل فوات الأوان.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

رئيس التحرير



المركز العام: هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

التحرير: ٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات: ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

في هذا العدد



البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة مجلة التوحيد للإخوة الكرام قراء المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء. لذا نعلن عن استقبال أسئلة القراء عن الفتاوى وكل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى بالجماعة ونشرها بالمجلة حتى تعم الفائدة على البريد الإلكتروني التالي:

Q.TAWHEED@YAHOO.COM

التوزيع الداخلي:

مؤسسة الأهرام

وفروع أنصار السنة المحمدية

افتتاحية العدد

منح الرحمن في شهر القرآن

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين وآل بيته الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

فإن شهر رمضان من الأشهر التي لها مكانة عظيمة ومنزلة في الإسلام رفيعة، فهو منحة ربانية وعطية إلهية، تُفتح فيه أبواب الجنان، وتُغلّق فيه أبواب النيران، وتُصفد الشياطين، وهو شهر الخير والمغفرة والتوبة والطاعة، والانتصارات والفتوحات والبركات، وقد فضّله الله على سائر الشهور، ومنحه من الخير الفضيل ما لم يمنح غيره من الشهور، وقد جعل الله لأهل الإيمان في الدنيا مواطن يغتنم فيها العبد المؤمن الأجر، ويستزيد فيها من فعل الخير، ويحسن له فيها التعرُّض للفضل، وهذا رحمة من الله وفضل؛ إذ لم يدع عبده المؤمن للشهوات والشيطان على مدار العام.

فيا عبد الله، يا من أبقاك الله ومدَّ في عمرك إلى أن دخل عليك هذا الشهر، اغتنم الفرصة والأجر، تنل من الله الخير، وقد أخرج الترمذي في سننه عن أبي بكرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أيُّ الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله». قال: فأي الناس شر؟ قال: «من طال عمره وساء عمله» [الترمذي ٢٣٣٠ وصححه الألباني].

وفي الترمذي أيضًا بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي قال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعُدّ نفسك من أهل القبور» [الترمذي ٢٣٣٣ وصححه الألباني، وأصل الحديث في البخاري بدون لفظة (وعُدّ نفسك من أهل القبور)].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك، فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدًا» [الترمذي ٢٣٣٣ وصححه الألباني].

الحذر من سرعة مرور العمر:

ولما كان العمر يمضي سريعًا، كان لزامًا على العبد أن ينتبه لأيامه ولياليه، ويعمل دائبًا على المسارعة إلى الخيرات، والمنافسة في عمل الصالحات، ومن ذلك اغتنام الأجر في شهر الصيام، فقد أخرج ابن ماجه في سننه عن طلحة بن عبد الله أن رجلين من بَلِيٍّ قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إسلامهما جميعًا، فكان أحدهما أشد اجتهادًا من الآخر، فغزا المجتهد منهما فاستشهد، ثم مكث الآخر

بعده سنة، ثم توفي. قال طلحة: فرأيت في المنام: بينا أنا عند باب الجنة، إذا أنا بها، فخرج خارج من الجنة فأذن للذي تُوفِّي الآخِرَ منهما، ثم خرج، فأذن للذي استشهد، ثم رجع إليَّ فقال: ارجع. فإنك لم تأن لك بعد، فأصبح طلحة يحدث به الناس، فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدَّثوه الحديث. فقال: «من أي ذلك تعجبون؟» فقالوا: يا رسول الله، هذا كان أشدَّ الرجلين اجتهادًا ثم استشهد، ودخل هذا الآخرُ الجنة قبله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أليس قد مكث هذا بعده سنة؟» قالوا: بلى. قال: «وأدرك رمضان فصام وصلى كذا وكذا من سجدة في السنة؟» قالوا: بلى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض». [ابن ماجه ٣٩٢٥ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/٣٤٥)].

وقد اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يفرض علينا صيام رمضان كما فرضه على من قبلنا، غير أن هذه الأمة لما كانت أقصر الأمم أعمارًا عوضها الله عن ذلك بمضاعفة الأجر على الأعمال رحمةً بها، وإكرامًا لنبيها صلى الله عليه وسلم، وقد حباها في هذا الشهر الكريم بمنح عظيمة تترتب على اغتنام العبد لأيامه ولياليه، ومن هذه المنح ما يلي:

اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يفرض علينا صيام رمضان كما فرضه على من قبلنا، غير أن هذه الأمة لما كانت أقصر الأمم أعمارًا عوضها الله عن ذلك بمضاعفة الأجر على الأعمال رحمةً بها، واكرامًا لنبيها صلى الله عليه وسلم

١- تحصيل التقوى التي هي خير زاد، قال الله تعالى:

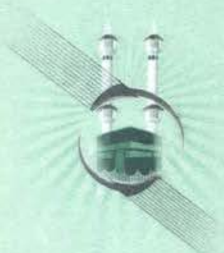
« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ » [البقرة:١٨٣]، أي: لعلكم تتقون بصومكم ربكم، وهكذا تبرز الغاية العظمى من الصوم، وهي التقوى، والصوم طريق موصل إليها.

٢- بركات خاصة برمضان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنة». [البخاري ١٨٩٨].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل شهر رمضان فُتحت أبواب السماء، وغُلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين». [البخاري ١٨٩٩]، وفي لفظ لمسلم: «فتحت أبواب الرحمة». [مسلم ١٠٧٩].

والحديث يدل على بركات خاصة من الله لهذه الأمة في شهر رمضان، حيث تُفتح فيه أبواب الرحمة، وأبواب الجنة، وأبواب السماء، وتُغلق فيه أبواب النار، وتُسلسل الشياطين، وفي هذا تشجيع للصائمين وحثٌ لهم على اغتنام مواسم الخيرات، والحديث الأول يدل على جواز قول: «رمضان» من غير إضافته إلى الشهر، وأما الحديث الذي فيه أنه اسم من أسماء الله تعالى فإنه لا يصح، وأسماء الله توقيفية، وفي الحديث دليل على وجود الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان وموجودتان الآن، ومن معتقد أهل السنة والجماعة أنهما لا تبيدان ولا تفنيان، وعلى أن الجنة لها أبواب، وقد دلَّ على ذلك القرآن والسنة.



٣- مِنَح مخصوصة بالصيام:

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصيام جُنَّة - زاد في رواية مسلم إذا أصبح أحدكم يومًا صائمًا - فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم - مرتين - والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه

وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها». [البخاري ١٨٩٤، ومسلم ١١٥١].

وهذا الحديث قد اشتمل على كثير من المنح الربانية، ومنها: أن الصيام حصن ووقاية من النار. قال ابن العربي: «إنما كان الصوم جُنّة من النار لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات».

وعقّب ابن حجر - رحمه الله - على هذا القول بقوله: «فالحاصل أنه إذا كفَّ نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساترًا له من النار في الدار الآخرة». [فتح الباري ٤/١٠٤].

ومنها: أن على الصائم ألا يتكلم بكلام فاحش، أو يفعل شيئًا من أفعال أهل السفه والجهل كالصياح وغير ذلك، ومنها: أن رائحة فم الصائم المتغيرة بسبب الصيام أحب إلى الله من ريح المسك، وفي هذا ثناءٌ على الصائم ورضا بفعله، ومنها ما جاء في قوله تعالى: «الصيام لي وأنا أجزي به». وفي هذا مزية عظيمة للصيام، وأجر عظيم عليه من الكريم الرحمن.

ومن المعلوم أن الحسنات يضاعف جزاؤها من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فلا يضاعف إلى هذا القدر فحسب، بل ثوابه لا يقدر قدره ولا يحصيه إلا الله تعالى، ولذلك يتولى الله جزاءه بنفسه، وقد نقل ابن حجر - رحمه الله - عن البيضاوي أنه قال: «والسبب في اختصاص الصوم بهذه المزية أمران: أحدهما أن سائر العبادات مما يطلع العباد عليه، والصوم سر بين العبد وبين الله تعالى يفعله خالصًا ويعامله به طالبًا لرضاه، وإلى ذلك الإشارة بقوله: «فإنه لي». والآخر: أن سائر الحسنات راجعة إلى صرف المال أو استعمال البدن، والصوم يتضمن كسر النفس وتعريض البدن للنقصان، وفيه الصبر على مضض الجوع والعطش وترك الشهوات، وإلى ذلك أشار بقوله: «يدع شهوته من أجلي». [فتح الباري: ٤/١١٠]، وعلى الصائم ألا يتضجر من رائحة فمه؛ لأنها أطيب عند الله من ريح المسك، كما عليه أن يصبر على الأذى.

من المعلوم أن الحسنات يضاعف جزاؤها من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فلا يضاعف إلى هذا القدر فحسب، بل ثوابه لا يقدر قدره ولا يحصيه إلا الله تعالى، ولذلك يتولى الله جزاءه بنفسه

٤- المباعدة عن النيران:

ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من صام يومًا في سبيل الله بعَّدَ الله وجهه عن النار سبعين خريفًا». [البخاري ٢٨٤٠، ومسلم ١١٥٣].

وفي هذا أجر عظيم للصائم وفضل كبير ورحمة من الله له. قال النووي رحمه الله: «فيه فضيلة الصيام...، والخريف السنة، والمراد سبعين سنة». [شرح النووي على مسلم ج٨/٢٣]، وقال ابن حجر رحمه الله: «الخريف زمان معلوم من السنة، والمراد به هنا العام، وتخصيص الخريف بالذكر دون بقية الفصول - الصيف والشتاء والربيع - لأن الخريف أزكى الفصول لكونه يجنى فيه الثمار». [فتح الباري: ٦/٤٨].

٥- الصيام لا مثل له:

ففي سنن النسائي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، مرني بأمر ينفعني الله به، قال: «عليك بالصيام فإنه لا مِثْل له». [النسائي ٢٢٢١ وصححه الألباني].

٦- للصائمين باب من أبواب الجنة لا يدخل منه أحد غيرهم:

فعن سهل بن سعد الساعدي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة بابًا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد». [البخاري ١٨٩٦].

٧- في رمضان ليلة خير من ألف شهر:

من قام فيها لله غفر له ما تقدم من ذنبه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه». [البخاري ١٩٠١].

٨- رمضان لا ينقص أجره حتى ولو نقص عدده:

ففي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «شهران لا ينقصان، شهرا عيد: رمضان، وذو الحجة» [البخاري ١٩١٢، ومسلم ١٠٨٩]. والمعنى: لا ينقصان أبدًا في الأجر وثواب العمل، وكان إسحاق بن راهويه يقول: «لا ينقصان في الفضيلة إن كانا تسعة وعشرين أو ثلاثين»، وقال البيهقي: «إنما خصهما بالذكر لتعلق حكم الصوم والحج بهما، وبه جزم النووي، وقال: إنه الصواب المعتمد». وعقب الحافظ ابن حجر على هذا بقوله: «والمعنى أن كل ما ورد عنهما من الفضائل والأحكام حاصل سواء كان رمضان ثلاثين أو تسعًا وعشرين». [فتح الباري: ٤/١٢٥، ١٢٦].

الاعتكاف عمل جليل من أعمال البر في شهر رمضان، وقد سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العشر الأواخر من رمضان سنة الاعتكاف في المساجد، وقد داوم عليها صلى الله عليه وسلم حتى موته

ومنح الله في رمضان لأهل الإيمان كثيرة، منها الجزاء الكبير للعمرة في رمضان، فالعمرة في رمضان تعدل ثواب الحج برفقة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال النبي صلى الله علي وسلم: «عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي» [البخاري ٣٦٨١].

وعن عطاء قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الأنصار سماها ابن عباس فنسيت اسمها «ما منعك أن تحجي معنا». قالت كان لنا ناضح فركبه أبو فلان وابنه لزوجها وابنها، وترك ناضحًا ننضح عليه قال: «فإذا كان رمضان اعتمري فيه، فإن عمرة في رمضان حجة» [البخاري ٣٦٨١].

كما أن للجود والإحسان فضلًا عظيمًا في رمضان، فقد كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامِ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ؛ فَلَرَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»[البخاري ٤٥٥٣].



والاعتكاف عمل جليل من أعمال البر في شهر رمضان، وقد سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العشر الأواخر من رمضان سنة الاعتكاف في المساجد، وقد داوم عليها صلى الله عليه وسلم حتى موته، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه بعده. [متفق عليه].

وغير ذلك من الأعمال الصالحة، وعليه فهو شهر يستحق العناية به، والمسارعة والمنافسة في مرضات الله فيه، أسأل الله أن يوفقنا لحسن صيامه وقيامه، وأن يتقبل منا، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كلمة التحرير

تركيا بين الحنين لأحضان المسلمين ... والتطلع لرفاهية الغربيين !!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وبعدُ:

بالأمس القريب قدَّر الله سبحانه لي زيارة تركيا لحضور مؤتمر رابطة الصحافة الإسلامية بإسطنبول، وعندما وطأت قدماي مطار إسطنبول، ورأت عيناي المآذن في كل بقعة من بقاعها الجميلة، تذكرت مقالة للكاتب «نيال فيرغسون» بمجلة نيوزويك، وكانت بعنوان: «هل تنبعث الإمبراطورية العثمانية من جديد؟»؟!

وقد نُشرت تلك المقالة على إثر الفوز الكبير الذي حقّقه حزب «العدالة والتنمية» التركي ذو الميول الإسلامية في الانتخابات التشريعية الأخيرة، والتي أثارت موجة من القلق وتجديد المخاوف الغربية بشأن ماهية الدور الذي يمكن أن تؤديه تركيا في الشرق الأوسط، وإذا ما كان رئيس الوزراء التركي وزعيم الحزب الفائز في الانتخابات التشريعية «رجب طيب أردوغان» يطمح لبعث الإمبراطورية العثمانية الإسلامية من جديد!!

وبدأ يجول بخاطري ما تعيشه الأمة من ضعف وهوان، وفتن وأحداث موجعة بين آلام وآمال، آلام يعتصر معها قلب كل مسلم غيور على دينه محب لوطنه من فوضى وانكسار، وتدنٍّ وانحسار، بين كيد الكائدين، وأطماع الطامعين أصحاب النفوس الضعيفة ممن يبحثون عن مكاسب وأطماع دنيوية زائلة، والآلام تنخر في عظام من بقي عنده الأمل في أن يصلح الله حال المسلمين في بلادنا، وآمال في انبعاث من جديد للأمة الإسلامية كلها، ونحن ندين لله جل وعلا بأنه لا تغيير ولا إصلاح إلَّا إذا كان على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، فلا إصلاح قبل الصلاح، ولكن وحتى لا تبعدني الآلام والآمال عن المنحى الذي أردت التحدث فيه، أعود إلى الموضوع ثانية فأقول:

تركيا بين الحنين للإسلام.. والدولة المحورية

بين الماضي والحاضر، وبين الماضي البعيد والحاضر القريب، نتذكر دولة الخلافة العثمانية بعلوها ومجدها، ثم انحسارها فانهيارها وتقزمها وقيام الدولة التركية الحديثة، نتذكر أن العثمانيين من سلالة أناضولية قامت على أنقاض الإمبراطورية البيزنطية كان العثمانيون هم حاملي لواء الإسلام بعد فتحهم للقسطنطينية «إسطنبول حاليًا» عام

١٤٥٣م، وقد توسعت إمبراطوريتهم في أوربا الوسطى، متضمنة بلغاريا، وصربيا، والمجر، وبعد أن أقام السلطان سليمان القانوني -سليمان المهيب - الحكم العثماني من بغداد إلى البصرة، ومن القوقاز إلى مدخل البحر الأحمر، وعلى طول الساحل البربري -المناطق الساحلية الوسطى والغربية من شمال إفريقيا-، ولقد شهد القرن السابع عشر مزيدًا من التوسع العثماني في كريت، بل وحتى غرب أوكرانيا.

ومع ذلك أصبحت الإمبراطورية العثمانية بعد ذلك «رجل أوربا المريض»؛ حيث فقدت معظم ممتلكاتها في البلقان وشمال إفريقيا، وكانت الحرب العالمية الأولى مُدمِّرة لها، حتى إنه تم إعلان معقل الأناضول القديمة فقط جمهورية تركية، أما باقي الإمبراطورية فقد تم اقتسامه بين بريطانيا وفرنسا. وقد كان ذلك على ما يبدو نهاية للعصر العثماني.

تركيا والاتحاد الأوروبي

كان السؤال الذي يتردد بين الناس حتى وقت قريب جدًا بشأن تركيا: متى تنضم تركيا للاتحاد الأوربي، حيث إنها كانت من الحلفاء الأوفياء للولايات المتحدة في حقبة الحرب الباردة، فكان من الواضح أن الأتراك قد ركزوا وجهتهم بثبات لا يتزعزع صوب الغرب، تمامًا كما أراد مؤسس الدولة العلمانية في تركيا «كمال أتاتورك».

لكن منذ عام ٢٠٠٣م عندما انتُخب «رجب طيب أردوغان» رئيسًا للحكومة التركية، قد تغير كثير من المواقف التركية الرسمية، فأردوغان مؤسس حزب «العدالة والتنمية» شخصية تتمتع بجاذبية كبيرة، فهو بالنسبة للكثيرين يمثّل تجسيدًا لـ «الإسلام المعتدل»، وقد شهدت فترة حكمه الأولى نموًّا اقتصاديًا غير مسبوق، كما سعى من أجل تقليص سلطات الجيش وتحجيم العلمانية.

والآن يتعين علينا أن ننظر عن كثب إلى شخصية أردوغان؛ حيث توجد تحركات ومواقف تجعل المتابع يوقنُ أنه يَحْلُم بتحويل تركيا إلى ما كانت عليه زمن سليمان القانوني مؤسس الإمبراطورية العثمانية.

ومما يُذكر في هذا المقام أن «رجب طيب أردوغان» عندما كان يشغل منصب عمدة مدينة إسطنبول، تعرض للسجن لإلقائه علنًا بعض الأبيات التي تعود إلى شاعر تركي ظهر في مطلع القرن العشرين؛ قال فيها: «إن المساجد ثكناتنا، والقباب خوذاتنا، والمآذن حرابنا، والمؤمنون جنودنا»، ويبدو واضحًا أن طموحه هو العودة إلى عصر ما قبل أتاتورك عندما كانت تركيا ليست فقط إسلامية، ولكن قوة إسلامية عظمى، فهل تعود تركيا مرة أخرى لأحضان الأمة كقوة إسلامية تقع بين آسيا وأوربا؟

إننا ومن دافع الآمال ننتظر تحول الوجهة التركية تحت قيادته لتكون إمبراطورية إسلامية جديدة في الشرق الأوسط، وليس ذلك على الله ببعيد!!

ومعك عزيزي القارئ نتجول في تركيا لنتعرف معًا على دولة الخلافة العثمانية إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه الآن.

تركيا عبر التاريخ

كانت تركيا مركزًا للحكم العثماني حتى عام ١٩٢٢م، ولقد تفككت الدولة السلجوقية فتكونت السلطنة العثمانية فيها بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، وأخذت في التوسع حتى سيطرت على الإمبراطورية البيزنطية وبلغاريا وصربيا إلى أن توقف توسعها إثر هزيمة بايزيد الأول -يلدرم الصاعقة- عام ١٤٠٢م تلت هذه الهزيمة فترة اضطرابات وقلاقل سياسية، استعادت الدولة توازنها وتواصلت سياسة التوسع في عهد مراد الثاني، ثم محمد الفاتح، والذي استطاع أن يدخل القسطنطينية عام ١٤٣٥م، وينهي التواجد البيزنطي في المنطقة، ثم مرت الدولة العثمانية بمراحل تدهور وانحطاط تخللتها بعض مراحل النمو والازدهار الذي لم يلبث سوى القليل من الزمن حتى استمر وضع الدولة في الانحلال، وأعلنت التنظيمات سنة ١٨٣٩م وهي إصلاحات على الطريقة الأوروبية، أنهاها السلطان عبد الحميد الثاني، بطريقة استبدادية، ونتيجة لذلك استعدى السلطان عليه كل القوى الوطنية في تركيا.

وفي عام ١٩٢٢م، تم خلع آخر السلاطين العثمانيين وهو «محمد السادس»، وشهدت تركيا بعد الحرب العالمية الأولى حركة قومية قادها «مصطفى كمال أتاتورك»، وأعلن الجمهورية التركية، وتولى رئاستها عام ١٩٢٣م حتى وفاته عام ١٩٣٨م، وقد تمكن أتاتورك من تغيير المبادئ الإسلامية بأعراف قومية علمانية، واستبدل الكتابة في تركيا من العربية إلى اللاتينية، ثم خلفه من بعده في الحكم «عصمت أنينو» حتى عام ١٩٥٠م، وسيطر الحكم المدني على البلاد حتى عام ١٩٧٣م، وحكم العسكر بعد هذا التاريخ، فأدى ذلك

إلى وضع غير مستقر، فاندلعت أعمال العنف عام ١٩٨٠م، وتعاني الحكومة التركية من معارضة الأكراد والأرمن؛ حيث إن الأكراد يمثلون بين ٢٠ و٢٥ مليون نسمة، وفي عام ١٩٩٣م سمح الرئيس التركي أوزال بلجوء الأكراد إلى الأراضي التركية إثر ثورتهم في العراق.

تركيا.. الطبيعة والسكان

بحسب الإحصاءات الصادرة في عام ٢٠٠٨م فإن عدد السكان في الجمهورية التركية يبلغ حوالي ٧٢ مليون نسمة، وتعدُ التركيبة السكانية في تركيا معقدة؛ حيث تتكون من عشرات الأعراق، والتي ترجع أسباب تشكيلها إلى عهد الدولة العثمانية؛ حيث كانت مناطق نفوذها تشمل أراضيٍ واسعة في آسيا وأوروبا وإفريقيا، وتحكم العديد من الشعوب، والحكومة التركية ترى في بلدها وطنًا لكل الأتراك بغض النظر عن أصولهم العرقية، وحسب التقديرات في هذا الصدد يشكل الأتراك أكبر تشكيلة عرقية للسكان حوالي ٦٦٪ يليهم الأكراد ٣٠٪، ثم الزازا «وهم فرع من الأكراد يتحدثون بلهجة خاصة بهم من اللغة الكردية ٢٪، فالعرب ١٪، والشركس ٠,٥٪، والجورجيون ٠,٥٪، وهناك أقليات أخرى من الأرمن، واليونان، والآشوريين، ويونانيين نبطيين وبوسنيين وألبان وشيشانيين وبلغار وغيرهم، وتعد الأقليات القرمية التتارية القرقيزية، الأوزبكية،.... التركمانية الكازاخية أقليات تركية».

وهناك جاليات كبيرة في المهجر تتركز معظمها في دول الاتحاد الأوروبي؛ حيث يشكل الأتراك على سبيل المثال أكبر جالية أجنبية في ألمانيا، ويبلغ تعدادها ما يقرب من أربعة ملايين نسمة، وهناك جاليات كبيرة في الولايات المتحدة وكندا وأستراليا.

الديانة واللغة في تركيا

ولما أرسى مصطفى كمال أتاتورك دعائم الدولة على العلمانية، فلا يوجد دين رسمي للدولة، كما أن الدستور التركي يؤمِّن حرية العقيدة والدين، ومع أن غالبية الشعب التركي يدين بالإسلام، بحسب الإحصاءات المنشورة فإن ٩٩٪ من السكان مسلمون، ٨٥- ٩٠٪ منهم يتبعون الطائفة السنية، بينما يتبع ما بين ١٠- ١٥٪ طائفة الشيعة العلويين، كما يدين حوالي ٠,١٪ بالمسيحية الأرثوذكسية، و٠,٤٪ باليهودية، وقد كان المسيحيون يشكلون حوالي ٢٠٪ من سكان الأراضي التركية في بداية القرن العشرين.

واللغة الرسمية هي اللغة التركية، ويتحدث بها حوالي ٧٧٪ من سكان البلاد، واللغة الكردية حوالي ٢٠٪، وحوالي ٢٪ ما يزالون يتحدثون اللغة العربية من الأتراك ذوي الأصول العربية، واللغات الأخرى هي لغات الأقليات الموجودة في البلاد: الآرامية، والأرمينية، الألبانية، اليونانية، والشركسية، وهناك عدة لهجات للغة التركية، تختلف بحسب المنطقة المتداولة بها، أما اللغات الإنجليزية والألمانية والفرنسية فتنتشر بين الطبقات العليا وفي المدن الكبرى والمناطق السياحية.

النظام السياسي والسياسة الخارجية

يسود الجمهورية التركية نظام شبيه بالأنظمة الديمقراطية الغربية، التي تنقسم عامة إلى سلطات: تشريعية، وتنفيذية، وقضائية، ولقد تبنت البلاد الحياة الديمقراطية بعد تطبيق دستور ١٩٨٢م وبعد سنوات من الحكم العسكري، ويتكون المجلس التشريعي من ٥٥٠ نائبًا، يتم انتخابهم كل خمس سنوات مباشرة من الشعب، وأعلى سلطة في البلاد هي سلطة رئيس الدولة، الذي يتم انتخابه كل سبع سنوات من قبل البرلمان، ولا يسمح بإعادة انتخابه مرة ثانية حسب الدستور التركي، ويوكل رئيس الدولة إلى رئيس الحزب الفائز في الانتخابات التشريعية مهمة تشكيل الحكومة؛ ليكون رئيسًا لها، بعدها يقوم رئيس الدولة بالموافقة أو رفض أعضاء الحكومة، والمحكمة الدستورية هي أعلى محكمة تركية، تقوم المحكمة بفحص مدى مطابقة القوانين المشرعة من البرلمان مع بنود الدستور.

أما عن السياسة الخارجية لتركيا، فتحاول تركيا الانضمام لعضوية الاتحاد الأوروبي منذ تأسس الاتحاد في عام ١٩٩٣م، وقد حصلت تركيا على صفة دولة مرشحة للانضمام عام ١٩٩٩م، وبدأت مفاوضات العضوية عام ٢٠٠٤م، ومسألة انضمام تركيا للاتحاد قسمت الأعضاء الحاليين في الاتحاد ما بين معارض ومؤيد، فيقول المعارضون بأن تركيا ليست دولة أوربية، وإنما هي جزء من الشرق الأوسط وآسيا، وأنها سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا لا تحقق الحد الأدنى من شروط العضوية وستكون عبئًا على الاتحاد الأوروبي.

بينما يقول المؤيدون بأن العضوية ستمنع انتشار الفكر المتشدد في الشرق الأوسط، والذي قد يُوقع

تركيا في يوم من الأيام تحت سيطرة المتشددين، وأيضًا بأن لدى تركيا أراضي زراعية شاسعة وأيدي عاملة كبيرة مما يفيد الاقتصاديات الغربية.

تركيا والنمور الاقتصادية

لقد أصبحت تركيا قوة اقتصادية لا يستهان بها، بل استطاعت أن تحتل المركز الـ ١٦ اقتصاديًا على مستوى العالم خلال ثماني سنوات!! كيف استطاعت تركيا أن تصل بمتوسط دخل الفرد من ٣٥٠٠ دولار في عام ٢٠٠٢ إلى ٥١٠٠ دولار في عام ٢٠٠٨؟ وكيف استطاعت تركيا أن تصل بحجم الإنتاج من ١٨٠ مليار دولار في عام ٢٠٠٢م إلى ٧٤٠ مليار دولار في عام ٢٠٠٨؟!

إنها حقاً معجزة العقلية التركية، عاشت تركيا في الفترة ما بين عام ١٩٤٥ إلي بداية الثمانينيات فترة عصيبة، اتبعت فيها الحكومة العسكرية سياسة اقتصادية تركز على الاقتصاد الداخلي، حاولت من خلالها حماية الشركات المحلية عن طريق فرض قيود على الشركات والواردات الأجنبية، تعرقلت حركة الصادرات في هذه الفترة بفعل البيروقراطية والفساد.

واهتمت تركيا برجال الأعمال، وأصبح هناك كيان يطلق عليه «جمعية رجال الأعمال والمصنعين المستقلين»، وعدد أعضائها يصل إلى ٥٠٠ ألف عضو، وعدد الشركات حوالي ١٥ ألف شركة، تمثل ١٥٪ من الدخل القومي التركي، وبعدما بزغت تركيا كنجم جديد في سماء الدول المتقدمة، أصبحت الآن في المرتبة السادسة بين الدول الأوروبية من الناحية الاقتصادية، وفي المرتبة السادسة عشرة بين دول العالم، وتركيا أيضاً هي الأولى في أوروبا في مجال صناعة النسيج، والثالثة في العالم في تصنيع أجهزة التلفزيون، والثالثة في تصنيع الأوتوبيسات، وأصبحت تركيا الأولى في العالم في تصدير الأسمنت، والثانية في أوروبا في إنتاج الحديد والفولاذ، والأولى في العالم في تصدير حديد البناء، والثالثة في العالم في تصدير الرخام، وأيضاً قفز حجم التجارة الخارجية التركية عام ٢٠٠٨ إلى ٣٣٤ مليار دولار بعد أن كان من قبل لا يتعدى ٨٨ مليار دولار فقط، وهذه القفزة النوعية استطاعت أن تحققها تركيا خلال فترة قصيرة لم تتجاوز التسع سنوات فقط.

علاقات تركيا مع الأقطار العربية

اتسمت العلاقات التركية العربية بالتوتر منذ أيام حكم الإمبراطورية العثمانية لمعظم البلدان العربية، بعد تقسيم الدول العربية بين الدول الاستعمارية، وانهيار الخلافة العثمانية، ولقد حاولت تركيا منذ نشأة الجمهورية التركية في بداية القرن العشرين التركيز على علاقاتها مع الغرب، وخاصة أوروبا والولايات المتحدة، كما ساهمت سياسات تركيا المائية والزراعية، وبناء العديد من السدود في مشروع جنوب شرق الأناضول على نهري دجلة والفرات اللذين هما عصب الحياة في العراق وسوريا، والتدخل العسكري التركي في شمال العراق إلى المزيد من التوتر السياسي وخاصة مع العراق، وكادت أن تؤدي مسألة إقليم الإسكندرونة المتنازع عليها مع سوريا، واتهام تركيا لسوريا بدعم حزب العمال الكردستاني المحظور إلى نشوب نزاع عسكري بين البلدين.

وتحاول تركيا تحسين علاقاتها بجيرانها وخاصة العرب منهم، فقد احتجت تركيا مرارًا على سياسة إسرائيل الاستيطانية، والعمليات العسكرية الظالمة ضد الفلسطينيين، كما تقوم تركيا بدور الوسيط بين سوريا وإسرائيل عبر المفاوضات غير المباشرة والتي تقام على أراضيها.

وفي عام ٢٠٠٩م شهدت العلاقات السورية التركية تطورًا كبيرًا ومهمًا على أصعدة عديدة ولاسيما السياسية منها والاقتصادية والسياحية.

ومع أن معظم سكان تركيا مسلمون، فهناك حظر حكومي على ارتداء الحجاب في المدارس والجامعات التركية والدوائر الحكومية، وقد تم تطبيق هذا القانون امتدادًا لفكر كمال أتاتورك الداعي إلى العلمانية، ولجعل المدارس والجامعات خالية من التأثير الديني على الأقل من الناحية الشكلية، وهناك معارضة لهذا القانون وخاصة من السكان المحافظين الذين يرون فيه تقييدًا لحرياتهم الدينية.

ولا يفوتني أن أتقدم بأخلص التهاني إلى الأمة الإسلامية والعربية بقدوم شهر رمضان، داعيًا الله عز وجل أن يبلغهم رمضان أعوامًا وأعوامًا، وأن يتقبل الله منا ومنهم صالح الأعمال. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة الصافات

الحلقة السادسة

إعداد:
د/ عبدالعظيم بدوي
نائب الرئيس العام

قال تعالى: « فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ
ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ
شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾
وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ
﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ
مُّبِينٞ ﴿١٥٦﴾ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ
وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٥٨﴾
سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٠﴾
فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنۡ هُوَ
صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ
ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾
لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ
﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا
لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ
ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٤﴾ وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ
﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ
ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٨﴾ وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ
يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
﴿١٨٢﴾ » [الصافات ١٤٩- ١٨٢].

قاعدة في الأسماء والصفات:

إن الآيات المباركات الخواتيم من سورة الصافات تتحدث عن قاعدة من قواعد الأسماء والصفات، وهي أنه لا يجوز أن يُوصف الله تبارك وتعالى بما لم يَصِف به نفسه في محكم كتابه، ولا على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام، فأسماء الله تعالى وصفاته توقيفية، فلا يجوز لأحد أن يسمي الله تعالى بما لم يسمِّ به نفسه، أو يصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه، ولذلك نزَّه الله تعالى نفسه عما

وصفه الواصفون من المشركين، وسلّم على المرسلين لسلامة ما وصفوا به رب العالمين، فختم السورة بقوله سبحانه: « سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ».

تنزيه الله تعالى عن الولد:

« فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ »:

فالله سبحانه وتعالى أحدٌ صمدٌ، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، خلق الخلق بقدرته من أصل واحد، ثم جعل النتاج جنسين مختلفين، كما قال تعالى: «أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ» [القيامة: ٣٦- ٣٩]، فهذه قدرة عجيبة أن يكون الأصل واحدًا، والمستقر واحدًا، والنتاج مختلفًا، ولذلك أقسم الله تبارك وتعالى بهذه الصفة صفة خلق الزوجين، فقال تعالى: «وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ» [الليل: ١- ٤]، ففي خلق الله تعالى الذكر والأنثى من أصل واحد دليل من أدلة عظمته ووحدانيته وقدرته، ومع ذلك فإن المشركين نسبوا لله سبحانه الولد، واختاروا لأنفسهم أفضل الجنسين وهم الذكور، ونسبوا لله تبارك وتعالى أدنى وأخس الجنسين عندهم وهم البنات، قال تعالى: « وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ » (النحل: ٧٥) يعني من الذكور، في حين أنهم يكرهون البنات « وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ » [النحل: ٥٨- ٥٩].

فأمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسألهم سؤال إنكار وتوبيخ:

« فَٱسْتَفْتِهِمْ » يا نبينا، «أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ » وهو خالق البنات والبنين، « لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ » [الزمر: ٤]، أي لاصطفى أفضل الجنسين، وأعلاهما قدرًا، وأرفعهما شأنًا، أما أن تختاروا أنتم لأنفسكم البنين وتجعلون لله البنات، فعلى أي دليل استندتم في هذا؟ « أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ » فالمستند في هذه القضية إما أن يكون الحسّ، وإما أن يكون النقل، أما العقل فلا مجال للاستدلال به على جنس المولود، فالنسوة اللاتي يحضرن ولادة المرأة رأين المولود ذكرًا أم أنثى، فإذا أخبرن من وراءهن علموا بالنقل أن فلانة ولدت ذكرًا أو أنثى.

فالله تعالى يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألهم: علام استندوا في جعلهم الملائكة بنات؟ « فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ »هل رأوا الملائكة لما خُلقت وعرفوا أنهم بنات؟ «مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ » [الكهف: ٥١].

ثم قال بعد ذلك « أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ » والسلطان هو البرهان والدليل والحجة، يريد أنتم لم تشهدوا خلق الملائكة، فيلزم أن يكون لكم دليل آخر غير المشاهدة وهو الخبر الصادق عمن شاهد، وليس عندكم خبر، فإذا كان لا حس ولا خبر، فكيف جعلتم الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا.

« أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ » الإفك هو الكذب والافتراء، ومع ذلك أكد الله سبحانه على الكذب، فقال: «وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾»، «مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا » [الكهف: ٥].

« أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ »؟ أيخلق الجنسين، الذكر والأنثى، ثم يختار لنفسه أدناهما ويعطيكم أنتم أعلاهما شأنًا، وأرفعهما قدرًا، « أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا » [الكهف: ٤٠]، « لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ » [الزمر: ٤].

«مَا لَكُمْ »؟ ماذا حدث لكم، وماذا أصاب عقولكم؟! «كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾» على الله سبحانه وتعالى هذا الحكم؟!، «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ » أن الله منزّه عن ذلك «أَمْ

لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾» أي حجة وبرهان، «فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾».

«وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا» قالوا: الملائكة بنات الله، تزوج الله من نساء الجن فولدت له الملائكة، فقال الله تعالى: «وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾» أي في العذاب يوم القيامة، فالجِنَّة أنفسهم يتبرءون من هذه النسبة، لما يعلمون من أنهم من أهل السعير، لا من عالم الأرواح الطاهرة، فمال هؤلاء المشركين يهرفون بما لا يعرفون، فلو كان بين الله وبين الجِنَّة نسبًا لأكرمهم، ولما أهانهم في العذاب المهين.

«سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾» تعالى وتنزّه وتقدّس عما وصفه به المشركون.

«إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾» أي: علمت الجِنَّة أن الجن محضرون في العذاب المهين يوم القيامة، «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾» من الجن، فإنهم كعباد الله المخلصين من الإنس، يدخلون الجنة ولا يدخلون النار.

مَن يَثْبُتُ ومن يَضِلُّ

يقول تعالى للمشركين: «فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾»، إنهم يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا، إنهم يودون أن يرجع المؤمنون عن دينهم فيكونون سواء، وإنهم يبذلون في سبيل ذلك كل ما يملكون من جهد ووقت ومال، ولكن «مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾» فما يفتن بهم إلا من سبقت له من الله الشقاوة، أما من سبقت له من الله الحسنى، فما هم بضاريه شيئًا.

منزلة الملائكة عند الله عز وجل:

«وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾» بحمد الله عز وجل، هذا كلام الملائكة، نقله جبريل عليه السلام عن الله عز وجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فكل ملك له مقام، وله درجة، وله شأن عند الله سبحانه وتعالى، فأعلى الملائكة شأنًا وأقربهم منزلة من الله سبحانه هو جبريل عليه السلام، «وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ» الملائكة تصف عند ربها سبحانه وتعالى في العبادة، يقفون صفوفا،كما في الحديث عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فَرَآنَا حَلَقًا فَقَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ عِزِينَ». قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا». فَقُلْنَا يَا رَسُولَ الله، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ» [مسلم ٤٣٠].

وعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ» [مسلم ٥٢٢].



نقض المشركين عهدهم:

ثم حكى الله تعالى عن المشركين أنهم كانوا يقولون: «لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾»

أي: لو جاءنا كتاب كما جاء اليهود والنصارى لكنا أهدى منهم، فقال تعالى: «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ» [فاطر: ٤٢]، وقال تعالى: «وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ» [الأنعام: ١٥٥- ١٥٧]، وقال تعالى: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [المائدة: ١٩].

فجاءهم الذي طلبوا فماذا فعلوا؟ «فَكَفَرُوا بِهِ»

فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ »، أبهم ما سيعلمونه مبالغة في تعظيمه، وقد صرّح به سبحانه في موضع آخر، فقال: « ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ » [غافر: ٧٠- ٧٢]، نتيجة تكذيبهم بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم.

المستقبل للمسلمين

« وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا » يعني المؤمنين أتباع المرسلين، «لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾».

هذه سنة من سنن الله الكونية التي لا تتخلف، كما أن الليل والنهار سنة كونية، وكما أن الشمس والقمر يتعاقبان، وكما أن النبتة تنبت في الأرض الميتة بإذن الله بعد نزول الماء عليها، هذه سنن كونية لا تتخلف، كذلك نصر الله لعباده المؤمنين سنة كونية أيضًا لا تتخلف، قال تعالى: « قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ» [العنكبوت: ٥٢- ٥٥]، وقال تعالى: « أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ » [الشعراء: ٢٠٤- ٢٠٧].



وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ» [مسلم ٢٨٠٧].

« فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ » إذا نزل العذاب الموعود بفنائهم، كأنه جيش قد هجمهم، فأناخ بفنائهم بغتة، فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرة، «بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ»، أي فبئس صباح المنذرين صباحهم.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم صَلَّى الصُّبْحَ بِغَلَسٍ، ثُمَّ رَكِبَ، فَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ» [متفق عليه] فَخَرَجُوا يَسْعَوْنَ فِي السِّكَكِ وَيَقُولُونَ: مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ - قَالَ وَالْخَمِيسُ الْجَيْشُ - فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

ومرة ثانية، يأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالإعراض عنهم والصبر حتى يأتي وعد الله، الذي وعده إياه، من نصره وإهلاكهم، فيقول سبحانه: «وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٨﴾ وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٩﴾».

وتختم السورة بالتنزيه والتحميد لله عز وجل، والتسليم على المرسلين « سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ » فنزَّه سبحانه وتعالى نفسه عما وصفه به المشركون مما لا يليق بجلاله، وسلَّم على المرسلين لسلامة ما وصفوا به رب العالمين، « وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾» على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، ومنها إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وإهلاك المكذبين، ونصر المؤمنين، ونسأل الله تعالى أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا.

والحمد لله رب العالمين.

أقبل رمضان

الحمد لله خالق الأكوان، ومقلب الزمان، وكل شيء عنده بحسبان، والصلاة والسلام على من نزل عليه القرآن، في شهر رمضان، فقام به أحسن قيام وبلّغه للإنسان والجان... وبعدُ:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الدنيا حُلْوَة خَضِرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء». [مسلم: ٧١٢٤].

قلت: والشاهد أننا خلفاء لمن قبلنا، ومن قبلنا فيهم الصالح وفيهم دون ذلك، ولكن لا ننظر إلا إلى الصالحين، وننظر إلى السابقين وخير القرون، ونكون من القليل في الآخرين؛ لقوله تعالى: «وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ» [الواقعة: ١٠-١٤]، وشهر رمضان زمان، والزمن عنصر مهم في تحقيق هذا السبق، والشهر نفحة من نفحات رحمة الله يصيب بها من يشاء من عباده، فأوصي نفسي وإياكم بأن يُري كل منا اللهَ سبحانه وتعالى خيرًا في هذا الشهر الذي هو من عطاياه سبحانه، من خلال الأعمال التالية:

أولاً: أروا الله توحيدًا خالصًا:

ولنجدد هذا العلم الذي أمرنا الله بتحصيله: «فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ» [محمد: ١٩]، فلنُفْرد الله سبحانه في القصد والطلب فلا نطلب إلا منه سبحانه، ولا نطلب من غيره، نطلب منه الأمن والأمان والرجاء والسداد، وقد أمر سبحانه بذلك: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» [غافر: ٦٠]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» [الترمذي ٢٥١٦ وصححه الألباني].

وليكن شهر رمضان بداية التحكيم لشرعه في كل شئون حياتنا الخاصة والعامة، ونفرده سبحانه بالحكم في كل أمورنا: «إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» [يوسف: ٤٠].

ولنوحد الله سبحانه بقصدنا فلا نقصد بقولنا أو عملنا إلا وجهه، قال سبحانه: «قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا» [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ» [الزمر: ٦٥].

ولنفرده سبحانه بالشكر على النعم الجليلة، ولا ننساه ونذكر غيره بهذه النعم، وأن نرد الأمر إلى الله تعالى فكل شيء بأمره وبقدره سبحانه.

وبالجملة أروا الله من أنفسكم في رمضان صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب وهم: «الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون». [اللؤلؤ والمرجان: ١٣١].

والتوكل على الله سبحانه هو جماع الخصال الثلاثة الأولى، ولنتعاهد قلوبنا في هذا الشهر الكريم حتى يتجدد الإيمان فيها، ويثبت فيها التوحيد، ولا نكون مثل بني إسرائيل لما قال لهم موسى: «عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» [الأعراف: ١٢٩]، وقد أروا الله سبحانه شركًا وعبادة للعجل وعصيانًا لنبي الله هارون، فأروا أنتم الله توحيدًا وبعدًا عن التعلق

فأروا الله من أنفسكم خيرًا

إعداد/ شوقي عبدالصادق

بالأضرحة والقبور، والتعلق بالأشخاص والجماعات والدول، وليكن التعلق بمن بيده ملكوت كل شيء وعنده خزائن كل شيء، قال تعالى: «وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا» [الطلاق:٣]، وقال سبحانه: «وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ» [الحجر:٢١].

ثانيًا: أروا الله عبادة صحيحة خالصة

أروا الله صلاة بالليل تتابعون فيها النبي صلى الله عليه وسلم، وتكون بطمأنينة، ولا تنقروا صلاة القيام، وليكن شهر رمضان بصلاته أفضل من شعبان، وما سبق من شهور، وتكون الصلاة خالصة فلا رياء ولا فخر لطولها وتحسينها، ولكن الخوف من عدم القبول، ورجاء الله سبحانه أن يجبر النقص والقصور.

أروا الله صومًا صحيحًا عن كل ما حرم الله من طعام وشراب ونكاح، وصومًا للعين عن النظر الحرام، وصومًا للأذن عن سماع الحرام، وصومًا للقلب عن الخواطر الرديئة والأحقاد والضغائن، وصومًا للسان عن الغيبة والنميمة سيئ الكلام ولغوه حتى يكون هذا الصوم خليقًا بأن يقبله الله؛ حيث أضاف هذه العبادة إلى نفسه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه». [اللؤلؤ والمرجان: ٧٠٧].

والجزاء من جنس العمل، فمن رأى الله سبحانه وتعالى منه صومًا خالصًا صحيحًا رزقه ما وعد به في الحديث وهو الفرح عند الفطر آخر الشهر؛ لأنه وُفق وصام ولم ينقطع صومه بمرض أو آفة، وأنه حصَّل شيئًا خالصًا لله تعالى، ويفرح عند لقاء ربه وخروجه من الدنيا التي صام فيها عن الشهوات المحرمة تحصل له الفرحة ويبشر بالجنة، وهذه هي الفرحة الكبرى إذا لقي ربه الذي رأى منه خيرًا، ولعل رمضان هذا يكون آخر رمضان في حياتك يا عبد الله، فأرِ الله منك عبادةً يرضاها خالصة لوجهه متابِعًا لنبيه صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا: أروا الله وصلاً للقرآن لا هجر بعده

قال الله تعالى: «وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا» [الفرقان:٣٠]، فيجب أن نُري الله في رمضان إعمالاً للقرآن في كل حياتنا، وعلى الأفراد تنفيذ جميع ما أُمروا به، واجتناب ما نُهوا عنه حتى نخرج من هجر القرآن في شهر نزول القرآن، ويستمر التواصل مع القرآن إلى آخر العمر لكل إنسان، ونتدارس القرآن في شهر نزوله كما كان يفعل رسولنا الكريم مع جبريل عليهما السلام، وأقل درجة من درجات التواصل مع القرآن في رمضان أن يُقرأ مرة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرأ القرآن في شهر». قلت: إني أجد قوة حتى قال: «فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك». [اللؤلؤ والمرجان: ٧١٦].

وما نزل القرآن إلا لخيرنا وسعادتنا في الدارين، قال سبحانه: «إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا» [النساء:١٠٥]، وقال تعالى: «وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» [الأنعام:١٥٥].

رابعًا: أروا الله وصلاً للأرحام لا قطع بعده

أولو الألباب الذين يعلمون أن الله سبحانه أمرهم بالصلة يلتزمون ذلك، قال الله تعالى: «وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ» [الرعد:٢١]، وقال جبير بن مطعم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة قاطع». [اللؤلؤ والمرجان: ١٦٥٦].

ويلاحظ على كثير ممن يقطع رحمه ولا يصلها أنه يظل على القطيعة في شهر رمضان حتى إذا جاء العيدُ وصل رحمه وخرج من القطيعة، وهذا من أكبر الكبائر، وهو لم يُر اللهَ من نفسه خيرًا في رمضان؛ لأن الرحم قامت مقام العائذ بالله من القطيعة، فقال تعالى لها: «ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذاك. قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: «فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ» [محمد:٢٢]. (اللؤلؤ والمرجان: ١٦٥٥) (متفق عليه).

خامسًا: أروا الله تطييبًا للمكاسب

أيها الصائمون! عليكم أن تحرصوا على تطييب أموالكم، ولا تجمعوها إلا من حلال، قال الله تعالى: «وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ» [البقرة:١٨٨]، وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ» [النساء:٢٩]، وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ» [المؤمنون:٥١]، فإذا صمت يا عبد الله عن الطعام والشراب والزوجة الحلال، فلتصم عن الحرام من المكاسب والأموال، فلا تأكل الربا، ولا تأخذ الرشوة، ولا تستحل الغصب والخديعة.

وبالجملة احرصوا على الطيب من المكاسب حتى يُتقبل صومكم وتقبل صدقاتكم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: «يَا يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ» [المؤمنون:٥١]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، وغُذي بالحرام يمد يده إلى السماء: يا رب، يا رب، فأنى يستجاب له». [مسلم: ١٠١٥].

فأروا -عباد الله- اللهَ سبحانه منكم في شهر رمضان تطييبًا للمكاسب، ولا تستحلوا نهب أو سرقة المال ولاسيما العام، ولا يغرنكم أن سلبه أو نهبه غيركم: «كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ» [المدثر:٣٨]، وطهروا المكاسب بأداء الزكاة المفروضة، وليكن قدوتكم في ذلك الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدراسُهُ القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة». [متفق عليه].

سادسًا: أخواتي... أظهرن تحجبًا واحتشامًا:

فأنتن أشد الفتن على المسلمين والمؤمنين، وأنتن أكثر أهل النار، فهل آن الأوان أن تصمن عن فتنة الرجال والشباب وتفطرن على الحجاب والنقاب: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا» [الأحزاب:٥٩]، أرين الله منكن صومًا عن الخضوع بالقول وفطرًا على ذكر الله والقول المعروف، أروا الله منكن صومًا عن تبرج الجاهلية الأولى، وأرين الله منكن فطرًا على القرار في البيت: «وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ» [الأحزاب:٣٣]، أرين الله منكن صومًا عن فتنة الرجال: «ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء». [متفق عليه].

وأرين الله منكن فطرًا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ» [سورة التوبة:٧١].

سابعًا: أخواتي: أرين الله اقتصادًا وتدبيرًا:

قال الله تعالى: «وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا» [الإسراء:٢٦، ٢٧]، وقال سبحانه: «وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا» [الإسراء:٢٩]، وقال تعالى: «وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ» [الأعراف:٣١]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة». [رواه البخاري معلقًا مجزوما به في أول كتاب اللباس].

سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن المبذرين قال الذين ينفقون في غير حق. [صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ٤٤٤].

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

باب السنة

هدي النبي ﷺ في الاعتكاف

إعداد/ زكريا حسيني محمد

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الاعتكاف

الحمد لله رب العالمين، لا إله لنا غيره، ولا رب لنا سواه، أنعم علينا بنعمة الإسلام، وبعث لنا خير الأنام محمد بن عبد الله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فكنت أضرب له خباء، فيصلي الصبح ثم يدخله، فاستأذنت حفصةُ عائشة أن تضرب خباءً فأذنت لها، فضربت خباء، فلما رأته زينب بنت جحش ضربت خباء آخر، فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم رأى الأخبية فقال: «ما هذا؟» فأُخْبِرَ. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «آلبر تُرَوْنَ بهن؟» فترك الاعتكاف ذلك الشهر، ثم اعتكف عشرًا من شوال.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في أبواب الاعتكاف برقم (٢٠٣٣) باب «اعتكاف النساء»، وبرقم (٢٠٣٤) باب «الأخبية في المسجد» وبرقم (٢٠٤١) باب «الاعتكاف في شوال»، وبرقم (٢٠٤٥) باب «من أراد أن يعتكف ثم بدا له أن يخرج». كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه؛ كتاب الاعتكاف باب «متى يدخل من أراد الاعتكاف في معتكفه» برقم (١١٧٣). وكذا أخرجه الإمام أبو داود في الصوم باب «الاعتكاف» برقم (٢٤٦٤)، والإمام الترمذي في الصيام برقم (٧٩١) باب «ما جاء في الاعتكاف»، والإمام النسائي في الصلاة برقم (٧١٠) باب «ضرب الخباء في المساجد»، والإمام ابن ماجه في الصوم برقم (١٧٧١) باب «ما جاء فيمن يبتدئ الاعتكاف»، والإمام أحمد في مسنده (٦/٨٤).

شرح الحديث

أورد الإمام البخاري هذا الحديث في باب «اعتكاف النساء»، وقال الحافظ في الفتح: أي ما حكمه، وقد أطلق الشافعي كراهته لهن في المسجد

الذي تُصلّى فيه الجماعة، واحتج بحديث الباب، فإنه دالّ على كراهة الاعتكاف للمرأة إلا في مسجد بيتها؛ لأنها تتعرض لكثرة من يراها، وقال ابن عبد البر: لولا أن عيينة زاد في هذا الحديث: أنهن استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الاعتكاف لقطعتُ بأن اعتكاف المرأة في مسجد الجماعة غير جائز، وشرط الحنفية لصحة اعتكاف المرأة أن تكون في مسجد بيتها، وفي رواية لهم أن لها الاعتكاف في المسجد مع زوجها، وبه قال أحمد. اهـ.

وقد بينت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - كما في هذا الحديث - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر في رمضان من كل عام، وكان يُنصب له خِبَاءٌ في المسجد خاص به يعتزل فيه عن الناس، وأنه كان يصلي الصبح إذا أراد أن يعتكف ثم يدخل معتكفه، واستُدل بهذا على أن بدء الاعتكاف من أول النهار.

وقد جاء في هذه الرواية أن حفصة استأذنت عائشة أن تضرب خِباءً لها، وفي رواية الأوزاعي: «فاستأذنته عائشة فأذن لها، وسألت حفصة عائشة أن تستأذن لها ففعلت»، وفي رواية ابن فضيل: «فاستأذنته عائشة أن تعتكف فأذن لها فضربت قبةً، فسمعت بها حفصة فضربت قبةً».

فلما رأت زينب بنت جحش ذلك ضربت لنفسها خباءً، فأصبحت الأخبية أربعة؛ أحدها للنبي صلى الله عليه وسلم، والثاني لعائشة، والثالث لحفصة، والرابع لزينب بنت جحش رضي الله تعالى عنهن، وقد جاء في رواية أبي معاوية عند مسلم وأبي داود «فأمرت زينب بخبائها فضُرب، وأمر غيرها من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بخبائها فضرب»، وهذا يقتضي تعميم الأزواج بذلك، وليس كذلك، فقد فُسّرت الأزواج في الروايات الأخرى بعائشة وحفصة وزينب فقط، ودليل ذلك قوله في بعض الروايات: «أربع قباب»، أو «أربعة أبنية».

ولقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم بناء الأخبية لأزواجه في المسجد، وقال صلوات الله وسلامه عليه: «ألبر تُرْون بهن» أي: أتظنون أنهن أردن البرَّ بهذا؟ وجاء في بعض الروايات: «ما حملهن على هذا؟ آلبر؟!»، ثم أمر صلى الله عليه وسلم بنقضها وتقويضها، فقال: «انزعوها فلا أراها، فنُزعت»، وترك الاعتكاف في ذلك الشهر، وكأنه صلوات الله وسلامه عليه خشي أن يكون الحامل لهن على ذلك المباهاة والتنافس الناشئ عن الغيرة حرصًا على القرب منه خاصة؛ فيخرج الاعتكاف عن مقصوده، أو أنه حينما أذن لعائشة وحفصة كان الأمر خفيفًا بالنسبة إلى ما يفضي إليه الحال من توارد بقية نسائه على ذلك وغيرهن من النساء فيضيق المسجد على المصلين، أو أنه سيفضي الأمر باجتماع نسائه في المسجد إلى أن يكون بينهن كالجالس في بيته، فيشغله ذلك عن التخلي لما قصد له من العبادة فيذهب بذلك مقصود الاعتكاف.

وبذلك ترك النبي صلى الله عليه وسلم الاعتكاف في رمضان ثم اعتكف عشرًا من شوال، وقد استدل بهذا على أن النوافل المعتادة إذا فاتت تُقضى استحبابًا، وقد جاء في بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم اعتكف العشر الأول من شوال فاستدل به على جواز الاعتكاف بغير صوم؛ لأن أول شوال هو يوم عيد الفطر وصومه حرام غير جائز. وقد استدل المالكية بهذا الحديث على وجوب قضاء العمل لمن شرع فيه ثم أبطله، ولا دلالة فيه على ذلك لأنه لم يثبت أن أزواجه اعتكفن معه في شوال، وإنما هذه خصوصية للرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كان إذا عمل عملاً أثبته وداوم عليه؛ وكان إذا فاتته نافلة قضاها.

ونقل ابن حجر في الفتح عن ابن المنذر وغيره أن في الحديث دلالة على أن المرأة لا تعتكف حتى تستأذن زوجها، وأنها إذا اعتكفت بدون إذنه فله أن يُخرجها، وإن أذن لها فله أن يرجع فيمنعها. وقال: وعن أهل الرأي: إذا أذن لها الزوج ثم منعها أَثِم بذلك وامتنعت. وعن مالك: ليس له ذلك. قال: وهذا الحديث حجة عليهم.

وقال الحافظ: وفي الحديث جواز ضرب الأخبية في المسجد، وأن الأفضل للنساء ألا يعتكفن في المسجد، وفيه جواز الخروج من الاعتكاف بعد الدخول فيه، وأنه لا يلزم بالنية ولا بالشروع فيه، وفيه أن أول الوقت الذي يدخل فيه المعتكف بعد صلاة الصبح؛ وهو قول الأوزاعي والليث والثوري، وقال الأئمة الأربعة وطائفة من العلماء: يدخل قبيل غروب الشمس، وأولوا الحديث على أنه دخل من أول الليل، ولكن إنما تخلّى بنفسه في المكان الذي أعده لنفسه بعد صلاة الصبح. وفي الحديث أن المسجد شرط للاعتكاف؛ لأن النساء المشروع لهن الاحتجاب في البيوت، فلو لم يكن المسجد شرطًا في الاعتكاف ما وقع الإذن ثم المنع، ولاكتفى لهن بالاعتكاف في

مساجد بيوتهن، وفي الحديث أيضًا دلالة على شؤم الغيرة؛ لأنها ناشئة عن الحسد المفضي إلى ترك الأفضل، وفيه أيضًا ترك الأفضل إذا كان في تركه مصلحة، وأن من خاف على عمله الرياء جاز له تركه وقطعه، وفيه أن المرأة إذا اعتكفت في المسجد ينبغي لها أن تجعل لها ما يسترها، ويشترط أن تكون إقامتها في موضع لا يضيق على المصلين، وفي الحديث بيان مرتبة عائشة وفضلها في كون حفصة لم تستأذن إلا بواسطتها.

فضل الاعتكاف

إن صلاح القلب واستقامته على الطريق المستقيم الموصل إلى الله عز وجل، يتوقف على جميعته على الله تعالى ولَمِّ شعثه بالإقبال على الله تعالى إقبالاً كاملاً، ومما يعوق القلب عن الإقبال على الله تعالى أو يوقفه أو يضعفه عن ذلك فضول الطعام والشراب، وفضول الكلام، وفضول المنام، وفضول مخالطة الخلق؛ لذلك كله اقتضت رحمة الله الرحمن الرحيم العزيز العليم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوِّقة له عن سيره إلى الله تعالى، وشرعه سبحانه وتعالى بقدر المصلحة؛ بحيث ينتفع به العبد في دنياه وآخراه، ولا يضره ولا يقطعه عن مصالحه الدنيوية والأخروية، وشرع لعباده أيضًا الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق، والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكر الله وحبه والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلاً منها، ويصير همه كله بالله تعالى، والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مرضاته وما يقرب العبد منه؛ فيصير أنسه بالله بدلاً من أنسه بالخلق، فيعده بذلك ليوم الوحشة في القبور؛ حيث لا أنيس له ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم.

ولما كان هذا المقصود إنما يتم مع الصوم، شرع رب العالمين الاعتكاف في أفضل أيام الصوم، وهو العشر الأخير من رمضان، قال ابن القيم في «الزاد»: ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اعتكف مفطرًا قط، بل قالت عائشة رضي الله عنها: «لا اعتكاف إلا بصوم». قال محقق الزاد: «أخرجه عبد الرزاق (٨٠٣٧) بلفظ: «من اعتكف فعليه الصوم». وأخرجه أبو داود (٢٤٧٣) في الصوم: باب المعتكف يعود مريضًا، والبيهقي ٣١٥/٤، والدارقطني ص٢٤٧، أنها قالت: «السُّنَّة على المعتكف ألا يعود مريضًا، ولا يشهد جنازة، ولا يمس امرأة ولا يباشرها، ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بد منه، ولا اعتكاف إلا بصوم، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع». وباشتراط الصوم للمعتكف قال ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم: أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨٠٣٣) عنهما ورجاله ثقات، وبه قال مالك والأوزاعي والحنفية، واختلف عن أحمد وإسحاق. اهـ.

قال الإمام ابن القيم: ولم يذكر الله سبحانه الاعتكاف إلا مع الصوم، ولا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مع الصوم، وأما فضول الكلام، فإنه شُرع للأمة حبس اللسان عن كل ما لا ينفع في الآخرة، وأما فضول المنام، فإنه شرع لهم من قيام الليل ما هو من أفضل السهر وأحمده عاقبة، وهو السهر المتوسط الذي ينفع القلب والبدن، ولا يعوق عن مصلحة العبد، وأسعد العباد بسلوك الصراط المستقيم، من سلكه على المنهاج النبوي المحمدي، ولم ينحرف انحراف الغالين، ولا قَصَّرَ تقصير المفرطين.

سياق هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الاعتكاف

قال ابن القيم في «زاد المعاد»: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل، وتركه مرة فقضاه في شوال.

واعتكف مرة في العشر الأول، ثم الأوسط، ثم العشر الأخير؛ يلتمس - في ذلك كله - ليلة القدر، ثم تبين له صلى الله عليه وسلم أنها في العشر الأخير، فداوم على اعتكافه حتى لحق بربه عز وجل.

وكان يأمر بخباء فيضرب له في المسجد يخلو فيه بربه عز وجل، وكان إذا أراد الاعتكاف صلى الفجر ثم دخله، فأمر به مرة فَضُرِبَ، فأمر أزواجه بأخبيتهن فضُربت، فلما صلى الفجر نظر فرأى تلك الأخبية، فأمر بخبائه فقُوِّض، وترك الاعتكاف في رمضان حتى اعتكف في العشر الأول من شوال.

وكان يعتكف كل سنة عشرة أيام، فلما كان العام الذي قُبض فيه اعتكف عشرين يومًا، وكان يعارضه جبريل بالقرآن كل سنة مرة، فلما كان العام الذي قُبض فيه عارضه به مرتين، وكان يعرض عليه

القرآن أيضًا في كل سنة مرة، فعرض عليه تلك السنة مرتين. [مسلم ٢٤٥٠]

وكان إذا اعتكف دخل قبته وحده، وكان لا يدخل بيته في حال اعتكافه إلا لحاجة الإنسان، وكان يُخرج رأسه من المسجد إلى بيت عائشة فترجِّله، وتغسله وهو في المسجد وهي حائض، وكانت بعض أزواجه تزوره وهو معتكف، فإذا قامت تذهب قام معها يقلبها - أي يودعها ويوصلها بيتها - وكان ذلك ليلاً.

ولم يباشر امرأة من نسائه وهو معتكف لا بقُبْلة ولا بغيرها، وكان إذا اعتكف طُرِحَ له فراشه، ووضع له سريرهُ في معتكفه، واعتكف مرة في قبة تركية وجعل على سدتها حصيرًا، كل هذا تحصيلاً لمقصود الاعتكاف وروحه، عكس ما يفعله الجهال من اتخاذ المعتكف موضع عِشْرَة، ومجلبة للزائرين، وأخذهم بأطراف الحديث بينهم، فهذا لون والاعتكاف النبوي لون آخر. والله الموفق. انتهى بتصرف.

الاعتكاف والإنتاج

ينادي بعض الناس الآن أفراد المجتمع: مبينًا أن واجب الوقت هو العمل والإنتاج، والحق أن الاعتكاف لا يمنع من الإنتاج، بل كثير من الموظفين والعاملين يعتكفون الليل في المساجد ويذهبون إلى أعمالهم في النهار، ويحرصون على نيل فضل الاعتكاف، ولو في ساعات الليل فقط، فإذا ما أصبحوا وحان وقت عملهم سارعوا إلى العمل؛ وعليه فلا ينبغي حث الناس - كما تكلم بعض مرشحي الرئاسة بذلك - على ترك الاعتكاف وترك قيام رمضان - الذي حث عليه النبي صلى الله عليه وسلم وبيَّن فضله بقوله: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه» [متفق عليه].

ولا ينبغي حث الناس على ترك قيام الليل في رمضان ولا في غير رمضان؛ لأن الصائمين القائمين هم العاملون المنتجون، أما غير العاملين من العاطلين وغيرهم فهم الذين يجب حثهم على العمل والإنتاج، لا أن يُمنَع العابدون من عباداتهم بحجة مضاعفة الإنتاج، فالله عز وجل بين أن الرزق من عنده، وأنه يوسعه على المتقين من عباده، فقال: «قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» [الأعراف:٩٦]، وبيَّن سبحانه أن كفران النعم يكون سببًا في زوالها، قال الله تعالى: «وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ» [النحل:١١٢].

فالمسلمون الأوائل وهم أسلافنا كانوا عُبَّادًا لله عز وجل، وكانوا في الوقت نفسه منتجين متميزين في العلم والعمل، وبذلك سادوا الدنيا وأصبحوا أساتذة العالم في كل المجالات، فإذا ما تأسينا بهم واتبعناهم ونهضنا بديننا، يسر الله لنا أمر دنيانا وفتح لنا بركات السماء وكنوز الأرض، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الاعتكاف والأمن

في العهود الماضية كان الأمن يتدخل في إجازة الاعتكاف في المساجد ومنعه منها، وذلك بحجة أن التجمعات خطر، وأنها تهدد الأمن، وتنذر بشر مستطير، وما سمعنا يومًا أن المعتكفين في مسجد من المساجد قاموا بتدمير أو تخريب، بل المعروف أنهم أناس تفرغوا لعبادة ربهم، فكان تصنيف عمل الأمن في ذلك - وهو تصرفات شخصية لبعض المسئولين عن الأمن - عبارة عن صدِّ عن العبادة والتدين.

فينبغي لكل مسلم عاقل أن يتقي الله عز وجل سواء من أفراد الأمن أم من عامة الناس، عليهم أن يتقوا الله في أنفسهم وألا يعرضوا أنفسهم لسخط الله تبارك وتعالى، فأهل العبادات هم الذين يبثون الأمن في المجتمعات؛ ولا يعرفون التدمير ولا التخريب، وكل من كان مسلمًا عابدًا لله تعالى رُمي بأنه إرهابي، وإنما الإرهابيون هم أعداء الله وأعداء الإسلام وأعداء الناس وأعداء أنفسهم.

والآن وقد أمن الناس، فكل من أراد الاعتكاف فليس هناك مانع يمنعه، فلنفرغ من أوقاتنا جزءًا نعبد الله تبارك وتعالى فيه نخلو فيه برب العزة والجلال سبحانه نكثر فيه من الطاعات ونبتعد عن المعاصي، بل عن كثير من المباحات، ونكثر فيه من الدعاء، لعل الله تبارك وتعالى يصلح هذه الأمة ويهيئ لها من أمرها رشدًا، ويردها إلى الحق وإلى صراط مستقيم، وأن يخرجها من الظلمات إلى النور بإذنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

درر البحار (٨٨)

مشروع تيسير حفظ السنة

من صحيح الأحاديث القصار

إعداد/ علـــي حشـيش

٢٦٤١- عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: أَمَرَ بِالْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهِنَّ لِلْمُسَافِرِ، وَيَوْمٌ وَلَيْلَةٌ لِلْمُقِيمِ. [«مصنف ابن أبي شيبة» (١/٢٩٤) ح(١٨٦٩)، حم (٢٧١٦)، ح(٢٣٨٧٧) واللفظ لابن أبي شيبة، وهو حديث حسن صحيح، والتوقيت في المسح على الخفين جاء من حديث علي رضي الله عنه في مصنف ابن أبي شيبة ح(١٨٨٣)، ومسلم ح(٢٧٦) أيضًا].

٢٦٤٢- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَا نَعْمَلُ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ أَمْ أَمْرٌ نَسْتَأْنِفُهُ؟ قَالَ: «بَلْ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ». قَالُوا: فَكَيْفَ بِالْعَمَلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «كُلُّ امْرِئٍ مُهَيَّأٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ». [حم (٢٧٥٢٧) (٦/٤٤١) حديث حسن].

٢٦٤٣- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌّ، وَلَا مُؤْمِنٌ بِسِحْرٍ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَلَا مُكَذِّبٌ بِقَدَرٍ». [حم (٢٧٥٤٤) (٦/٤٤١) حديث حسن].

٢٦٤٤- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ». [حم (٦/٤٤١)، ح(٢٧٥٣٠)، وهو حديث حسن صحيح].

٢٦٤٥- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ حِينَ خَلَقَهُ فَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُمْنَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً بَيْضَاءَ كَأَنَّهُمُ الذَّرُّ، وَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُسْرَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً سَوْدَاءَ كَأَنَّهُمُ الْحُمَمُ، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَمِينِهِ: إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي فِي كَفِّهِ الْيُسْرَى: إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي». [حم (٦/٤٤١) ح(٢٧٥٢٨)].

٢٦٤٦- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ الْغُوطَةُ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ». [د (٤٢٩٨) صحيح].

٢٦٤٧- عن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ». [ت (٢٣٤٩)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح].

٢٦٤٨- عَنْ قُرَّةَ بْنِ إِيَاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم نَهَى عَنْ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ، وَقَالَ: «مَنْ أَكَلَهُمَا فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا». وَقَالَ «إِنْ كُنْتُمْ لَا بُدَّ آكِلِيهِمَا فَأَمِيتُوهُمَا طَبْخًا». قَالَ: يَعْنِي الْبَصَلَ وَالثُّومَ. [د (٣٨٢٧) حديث حسن صحيح].

٢٦٤٩- عَنْ كَعْبِ بنِ عياض رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقولُ: «إِنَّ لكلِّ أمةٍ فتنةً، وفتنةُ أُمتي المالُ». [ت(٢٣٣٦) قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب].

٢٦٥٠- عَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يُقَالُ لَهُ: مُجَاشِعٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ فَعَزَّتِ الْغَنَمُ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ الْجَذَعَ يُوَفِّي مِمَّا يُوَفِّي مِنْهُ الثَّنِيُّ». [قال أبو داود: هو مجاشع بن مسعود، د(٢٧٩٩) حديث حسن صحيح، والجذع من الضأن: ما تمت له ستة أشهر، والثني من الضأن والمعز عند الحنابلة والحنفية ما تمت له سنة. «عون المعبود» (٥/٢٣٠)].

٢٦٥١- عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَخِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رضي الله عنه قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى بِنَا الْمَغْرِبَ فِي مَسْجِدِنَا، فَلَمَّا سَلَّمَ مِنْهَا قَالَ: ارْكَعُوا هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ فِي بُيُوتِكُمْ. لِلسُّبْحَةِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ. [حم (٥/٤٢٧) ح(٢٣٦٧٣)].

٢٦٥٢- عن معاوية رضي الله عنه قال: قالَ رسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ بِغَيْرِ إِمَامٍ مَاتَ مِيتَةً جاهلية». [حم (٤/٩٦) ح(١٦٩٢٢) حديث حسن].

٢٦٥٣- عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «لاَ تُبَادِرُونِي بِرُكُوعٍ وَلاَ بِسُجُودٍ، فَإِنَّهُ مَهْمَا أَسْبِقْكُمْ بِهِ إِذَا رَكَعْتُ تُدْرِكُونِي بِهِ إِذَا رَفَعْتُ؛ إِنِّي قَدْ بَدَّنْتُ». [د (٦١٩)، وهو حديث حسن].

٢٦٥٤- عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه قال: قَامَ فِينَا رسول الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «أَلاَ إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ». [د (٤٥٩٧)، وهو حديث حسن].

٢٦٥٥- عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا الأَحْيَاءَ». [ت (١٩٨٢)، وهو حديث صحيح].

٢٦٥٦- عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا ذَهَبَ الْمَذْهَبَ أَبْعَدَ. [د(١)، وهو حديث حسن صحيح، وأخرجه أيضًا الترمذي ح(٢٠)، والنسائي وابن ماجه واللفظ لأبي داود، والمقصود الابتعاد عند قضاء الحاجة].

٢٦٥٧- عَنْ سِمَاك بن حرب قَالَ: سَمِعْتُ النُّعمانَ بنَ بشير رضي الله عنهما يقولُ: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقولُ: «أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ»، حَتَّى لَوْ أن رجلاً كَانَ بالسوق لسَمِعَهُ مِنْ مَقَامِي هَذَا، قال: حَتَّى وَقَعَتْ خَميصةٌ كانت عَلَى عاتِقِه عِندَ رِجْلَيْه. [حم (٤/٢٧٢)، ح(١٨٤٢٢)، وهو حديث حسن صحيح].

٢٦٥٨- عَنِ النُّعْمانِ بنِ بَشير رضي الله عنهما قال: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه و سلم: «مَثَلُ المُجاهدينَ في سبيلِ الله كمثلِ الصَّائمِ نَهارَهُ والْقَائمِ لَيلَهُ، حتَّى يَرْجِعَ مَتَّى يَرْجِع». [حم (٤/٢٧٢) ح(١٨٤٢٥)، وهو حديث حسن].

٢٦٥٩- عَنْ أَبِي بَكْرَةَ نُفَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ رضي اللهُ عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّه رَخَّصَ لِلْمُسَافِرِ إِذَا تَوَضَّأَ وَلَبِسَ خُفَّيْهِ ثُمَّ أَحْدَثَ وُضُوءًا، أَنْ يَمْسَحَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ، وَلِلْمُقيم يَوْمًا وَلَيْلَةً». [جه (٥٥٦)، وهو حديث حسن].

٢٦٦٠- عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا - مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ - مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ». [د(٤٩٠٢)، ت(٢٥١١)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح].

٢٦٦١- عَنِ الْهِرْمَاسِ بْنِ زِيَادٍ رضي الله عنه قال: مَدَدْتُ يَدِي إلى النبيُّ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا غُلاَمٌ لِيُبَايعني فَلَمْ يُبَايعني». [ن(٧/١٥٠) حديث حسن، وترك النبي صلى الله عليه وسلم مبايعته؛ لأنه صغير، والبيعة فيها تكليف وإلزام بما عاهد عليه].

٢٦٦٢- عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَلِي شَعْرٌ طَوِيلٌ، فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ «ذُبَابٌ ذُبَابٌ». قَالَ: فَرَجَعْتُ فَجَزَزْتُهُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: «إِنِّي لَمْ أَعْنِكَ، وَهَذَا أَحْسَنُ». [د(٤١٩٠)، حديث حسن صحيح، ن(٨/١٣١/١٣٥)].

٢٦٦٣- عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَكَانَ يُسَلِّمُ عَنْ يَمِينِهِ: «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ». وَعَنْ شِمَالِهِ: «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ». [د(٩٩٧) حديث صحيح].

٢٦٦٤- عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَى عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَتَتْكَ رُسُلِي فَأَعْطِهِمْ ثَلاَثِينَ دِرْعًا وَثَلاَثِينَ بَعِيرًا». قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَارِيَةً مَضْمُونَةً، أَوْ عَارِيَةً مُؤَدَّاةً؟ قَالَ «بَلْ مُؤَدَّاةٌ». [د(٣٥٦٦)، وهو حديث حسن صحيح].

٢٦٦٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَبْشِر عَمَّارُ تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ». [ت (٣٨٠٠)، وقال: حديث حسن صحيح غريب].

برنامج رمضاني مقترح

إعداد/ صلاح عبدالمعبود

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فإن المؤمن يسير إلى الله والدار الآخرة من خلال دقائق ولحظات عمره، لذا فهو حريص أشد الحرص على أن يستعمل وقته في طاعة الله، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ما ندمت على شيء ندمي على يوم مرَّ عليَّ نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي». ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم في الدنيا لم يذكروا الله فيها» [البيهقي والطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع(٥٤٤٦)].

وها نحن نستقبل شهر رمضان المبارك، أعظم الشهور على الإطلاق، شهر عظيم القدر لكنه سريع الانقضاء، فلا بد أن نحسن استغلاله، فسرعان ما ينصرف عنا إما شاهدًا لنا أو شاهدًا علينا، وهذا برنامج مقترح لعل الله أن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره.

أولاً: وقت السحر:

ومن أعمال هذا الوقت المبارك ما يلي:

١- الاستيقاظ من النوم مع الذكر «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور». [متفق عليه].

٢- استعمال السواك: فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك». [متفق عليه].

٣- صلاة الليل: قال الله تعالى: «أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ» [الزمر:٩].

٤- السحور: فعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تسحروا فإن في السحور بركة». [رواه البخاري ومسلم].

٥- الاستغفار والدعاء: قال تبارك وتعالى: «وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» [الذاريات:١٨]. والإكثار من الدعاء في هذا الوقت المبارك من الليل فهو أحد الأوقات المباركات لاستجابة الدعوات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة». [مسلم: ٧٥٧]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له». [رواه البخاري ومسلم وأحمد واللفظ له].

ثانيًا: صلاة الفجر:

ومن أعمال هذا الوقت المبارك ما يلي:

١- الوضوء: والسنة أن يكون في البيت؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من توضأ ثم خرج إلى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة غُفر له ما خلا من ذنبه». [متفق عليه].

٢- الذكر بعد الوضوء: لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من توضأ فأسبغ الوضوء ثم قال: أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء». [رواه مسلم]. وفي رواية: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين». [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

٣- إجابة المؤذن: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال حين يسمع النداء: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا، وبمحمد نبيًا، وبالإسلام دينًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه». [رواه مسلم].

٤- أداء سنة الفجر: والسنة أن تكون في البيت، وأن تكون ركعتين خفيفتين، ففي الصحيحين: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر لا يصلي إلا ركعتين خفيفتين. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها». [رواه مسلم].

٥- الخروج إلى المسجد لأداء الصلاة: والدعاء عند الخروج: «بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله». [رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني].

٦- دعاء الذهاب إلى المسجد: أن يقول: اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، واجعل في سمعي نورًا، واجعل في بصري نورًا، واجعل من خلفي نورًا ومن أمامي نورًا، واجعل من فوقي نورًا، ومن تحتي نورًا، اللهم أعطني نورًا. [رواه مسلم].

٧- دخول المسجد: ويقول: «بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم افتح لي أبواب رحمتك». [متفق عليه].

٨- صلاة تحية المسجد، وانتظار الصلاة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من توضأ ثم أتى المسجد فركع ركعتين ثم جلس غُفر له ما تقدم من ذنبه». [متفق عليه].

٩- الحرص على الصف الأول، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ولم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا». [متفق عليه].

١٠- الانشغال بالذكر والدعاء حتى إقامة الصلاة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة». [رواه الترمذي وصححه الألباني].

١١- المكث في المسجد حتى طلوع الشمس: وذلك للذكر والدعاء وقراءة القرآن، «فقد كان صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس». [رواه مسلم].

مع ملاحظة أن ذكر الله يشمل أذكار الصباح وقراءة القرآن وغيرها من الأذكار المطلقة.

١٢- صلاة ركعتين بعد طلوع الشمس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى الغداة في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة». [رواه الترمذي وحسنه الألباني والأرناؤوط]. وذلك بعد طلوع الشمس بحوالي ربع الساعة، ومع هذا الفضل العظيم، إلا أننا نلاحظ أنه بعد الانتهاء من الصلاة يسرع كثير من المصلين بالانصراف ومغادرة المسجد عقب تسليم الإمام مباشرة، قبل الانتهاء من أذكار الصلاة، فبعد دقائق معدودات ترى المسجد خاليًا كأن لم يكن به أحد، فقد انطلقوا إلى مساكنهم ومضاجعهم تاركين خلفهم فضلاً عظيمًا، فأين المتنافسون في هذا الأجر العظيم في هذا الشهر الكريم؟!

١٣- أخذ قسط من النوم والراحة إلى قرب وقت العمل أو الدراسة، مع نية صالحة، قال معاذ رضي الله عنه: إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي.

١٤- الذهاب إلى العمل: وليكن بجد ونشاط وعدم إشعار الآخرين أن شهر رمضان شهر البطالة والكسل والنوم، بل هو شهر الجهاد والعمل، ويكفينا أن نعلم أن غزوة بدر الكبرى، وفتح مكة، وحطين، وعين جالوت كلها كانت في رمضان، فشهر رمضان هو شهر الانتصارات العظيمة في تاريخنا المجيد، وتلكم المعارك شاهدة على صحة ما نقول، هذا بخلاف

ما عليه كثير من الناس اليوم، فالطالب يتعلل بأنه صائم إذا قصر في واجباته!! والموظف يتقاعس عن عمله ولا يؤديه كما هو مفروض لأنه صائم!! وبعض الناس ينشغل بقراءة القرآن أثناء فترة العمل!! وهذا لا يجوز بحال من الأحوال إذا كان سيؤدي إلى تعطيل أو ضياع مصالح المسلمين.

ثالثًا: صلاة الظهر:

ومن أعمال هذا الوقت المبارك ما يلي:

١- صلاة أربع ركعات سنة الظهر القبلية.

٢- أداء صلاة الظهر في المسجد مع الحرص على إدراك تكبيرة الإحرام.

٣- قراءة أذكار الصلاة بعدها.

٤- صلاة سنة الظهر البعدية، وهي ركعتان، ويستحب أن تكون في البيت.

٥- أخذ قسط من الراحة والنوم، إن كان هناك متسع من الوقت، ثم الاستعداد المبكر لصلاة العصر.

رابعًا: صلاة العصر:

ومن أعمال هذا الوقت المبارك ما يلي:

١- الحرص على صلاة أربع ركعات قبل صلاة العصر؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله امرأً صلى قبل العصر أربعًا». [رواه أبو داود وحسنه الألباني].

٢- صلاة العصر في جماعة، مع الحرص على إدراك تكبيرة الإحرام.

٣- قراءة أذكار الصلاة.

٤- المكث في المسجد لقراءة القرآن وأذكار المساء.

٥- الانشغال بالدعاء قبل الغروب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا تُرد دعوتهم..» وذكر منهم: «الصائم حتى يُفطر». [رواه الترمذي وصححه الألباني]. فلا تنس - رعاك الله - إخوانك المسلمين من دعائك.

خامسًا: صلاة المغرب:

ومن أعمال هذا الوقت المبارك ما يلي:

١- تناول طعام الإفطار مع الدعاء: «ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله». [رواه أبو داود وصححه الألباني].

٢- أداء صلاة المغرب جماعة مع الحرص على إدراك تكبيرة الإحرام.

٣- إياك والإسراف في تناول طعام الإفطار، ونوصي إخواننا بعدم الإكثار منه حتى يتمكن من أداء صلاة العشاء والتراويح بخشوع وراحة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه». [أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني].

٤- استغلال الوقت ما بين تناول طعام الإفطار حتى قرب صلاة العشاء في جلسة مع أفراد الأسرة لتعليمهم فقه الصيام، أو تفسير آية من كتاب الله، أو قراءة سيرة صحابي، أو أي أحاديث أسرية هادفة.

سادسًا: صلاة العشاء:

ومن أعمال هذا الوقت المبارك ما يلي:

١- التبكير في الذهاب إلى المسجد لصلاة العشاء وإدراك تكبيرة الإحرام، وينبغي الحرص على الذهاب إلى مساجد السنة وإن كانت بعيدة.

٢- صلاة التراويح كاملة مع الإمام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه». وقال أيضًا: «من قام مع الإمام حتى ينصرف كُتب له قيام ليلة». [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني].

٣- بعد صلاة التراويح يكون هناك متسع من الوقت يتفاوت عند الناس، نحذر إخواننا من استغلاله فيما يحرم، مثل مشاهدة الأفلام والمسلسلات السيئة، أو التسكع في الأسواق والطرقات لغير حاجة، وغيرها مما يعلم حرمته وينافي احترام شهر رمضان، بل نوصي إخواننا باستغلال هذا الوقت بما يفيد كقراءة القرآن أو صلة الأرحام أو غيرها مما يعود على الإنسان بالنفع والفائدة.

٤- نوم شيء من الليل إلى ما قبل السحور قبل أذان الفجر بنصف ساعة.

ثم نعود إلى نقطة البداية في البرنامج مرة ثانية، هذا مع الحرص على نشر الخير، وتعليم الناس آداب الصيام وأحكامه كلما أتيحت الفرصة، والمواظبة على ذكر الله تعالى في كل وقت وحين.

والله من وراء القصد.

أحكام رمضانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد..

كلما أهل علينا شهر رمضان وجدنا الناس تهتم بطرح أسئلة متعلقة بالصيام، وقد أردت أن أجمع أهم هذه الأسئلة، وأذكر أجوبة العلماء عنها حتى يقبل الناس على شهر رمضان المعظم وهم على بينة من أمرهم.

السؤال (١): على من يجب صوم رمضان؟

الجواب: اعلم أن من يجب عليه الصوم لا بد أن تتوفر فيه شروط:

الشرط الأول: الإسلام: وهو شرط وجوب عند الحنفية: شرط صحة عند الجمهور. ومنشأ الخلاف: مخاطبة الكفار بفروع الشريعة، فعند الحنفية: إن الكفار غير مخاطبين بفروع الشريعة التي هي عبادات، وعند الجمهور: الكفار مخاطبون بفروع الشريعة في حال كفرهم، وما ذهب إليه الجمهور أرجح.

الشرط الثاني: أن يكون مكلفًا؛ والمكلف هو البالغ العاقل؛ قال صلى الله عليه وسلم: «رفع القلم عن ثلاثة؛ عن المجنون حتى يعقل؛ وعن الصبي حتى يحتلم؛ وعن النائم حتى يستيقظ» [ابن ماجه ٢٠٤٤ وصححه الألباني]؛ وعلى هذا فلا يجب الصوم على المجنون؛ ولا يصح منه لو صام. ويصح الصوم من الصبي المميز أو المميزة كالصلاة، ولا يجب عليهم؛ ولا يأثمون بتركه؛ لأنهم لم يبلغوا التكليف.

الشرط الثالث: أن يكون قادراً؛ فلا يجب على العاجز عن الصوم لأي سبب كان؛ قال تعالى: «لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا »، وقال أيضًا «وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ»

الشرط الرابع: أن يكون مقيمًا؛ فلا يجب الصوم على المسافر وإن صام صح صومه وأجزأ عنه.

الشرط الخامس: الخلو من الموانع؛ وهذا خاص بالنساء (الحائض والنفساء)؛ فإنه لا يجب عليهما الصوم ولا يصح منهما لو صامتا؛ ويلزمهما القضاء بعد رمضان؛ قال صلى الله عليه وسلم: «أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم» [البخاري ٣٠٤].

السؤال (٢): ما حكم النية للصائم؛ وهل تكفي نية واحدة لرمضان كله أم لا بد لكل ليلة من نية؟

الجواب: يجب على من لزمه الصيام أن يبيّت نية الصيام من الليل؛ ومن لم ينو الصيام من الليل وجب عليه صيام ذلك اليوم؛ ويلزمه قضاؤه لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل» [رواه أبو داود والترمذي والنسائي وصححه الألباني].

ويشترط عند الجمهور النية لكل يوم من رمضان على حدة؛ لأن صوم كل يوم عبادة على حدة، غير متعلقة باليوم الآخر، بدليل أن ما يفسد أحدهما لا يفسد الآخر، فيشترط لكل يوم منه نية على حدة.

السؤال (٣): متى يؤمر الصبيان والفتيات بالصيام؟

الجواب: الصبيان والفتيات إذا بلغوا سبعًا فأكثر يؤمرون بالصيام ليعتادوه؛ وعلى أوليائهم أن يأمروهم بذلك كما يأمرونهم بالصلاة.

السؤال(٤): ما هي مفسدات الصيام التي تبطله؛ وما الذي يجب على من أتى شيئًا منها؟

الجواب: اعلم أن ما يبطل الصيام قسمان:

١ - ما يبطله، ويوجب القضاء.

٢ - وما يبطله، ويوجب القضاء والكفارة.

فأما ما يبطله، ويوجب القضاء فقط فهو ما يأتي:

الأول: كل ما دخل جوف الصائم وهو متعمد غير ناس من المدخل المعتبر شرعًا، وهو الفم أو الأنف؛ فإنه يفطر به.

الثاني: الأكل والشرب متعمدًا؛ قال تعالى: «وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ». فإن أكل أو شرب ناسيًا، أو مخطئًا، أو مكرهًا، فلا قضاء عليه ولا كفارة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من نسي - وهو صائم - فأكل أو شرب، فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه». [متفق عليه].

الثالث: من استقاء عامدًا (أي: تقيأ)؛ أما إذا تقيأ وهو غير متعمد فصومه صحيح؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:«من استقاء متعمدًا فعليه القضاء؛ ومن ذرعه القيء فلا قضاء عليه» [الترمذي (٧٢٠) وصححه

سؤال وجواب

إعداد: د/ حمدي طه

الألباني].

الرابع: إذا أخرج الصائم المني بأي طريقة كانت؛ سواء بمباشرة أهله أو استمنى، فإن صومه فاسد وعليه القضاء.

الخامس: انقطاع النية فمن نوى الفطر - وهو صائم - بطل صومه، وإن لم يتناول مُفْطِرًا.

فإن النية شرط من شروط صحة الصيام، فإذا نقضها - قاصدًا الفطر ومتعمدًا له - انتقض صيامه.

وأما ما يبطله ويوجب القضاء، والكفارة، فهو الجماع، لا غيرُ، عند الجمهور.

وهناك أشياء أخرى اختلف أهل العلم فيها، هل هي من المفطرات أم لا؟ ليس هنا محل ذكرها.

السؤال (٥): ما الحكم فيمن جامع امرأته في نهار رمضان؛ وما الواجب عليه في مثل هذه الحال؛ وهل تشاركه المرأة في الحكم؟

الجواب: من جامع امرأته في نهار رمضان فإنه آثم لانتهاكه حرمة الشهر؛ ولأنه ارتكب معصية؛ ويلزمه أمور:

الأول: التوبة لله رب العالمين من اقترافه لهذا الذنب بتعديه على حرمة الشهر.

الثاني: قضاء هذا اليوم الذي أفسده؛ لأنه أفطر بالجماع.

الثالث: عليه الكفارة المغلظة؛ وهي: أن يعتق رقبة؛ فإن لم يجد فيصوم شهرين متتابعين؛ فإن لم يستطع لعذر شرعي فيطعم ستين مسكيناً؛ لقوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي جامع امرأته في نهار رمضان: «أعتق رقبة؛ فإن لم تجد فصم شهرين متتابعين؛ فإن لم تستطع فأطعم ستين مسكينًا» [متفق عليه].

وتجب الكفارة المغلظة على الرجل والمرأة على حد سواء، إذا كانت المرأة مطاوعة للرجل في ذلك؛ أما إذا كانت مكرهةً؛ فتجب الكفارة على الرجل فقط؛ وليس عليها شيء.

السؤال (٦): من دخل إلى جوفه شيء رغمًا عنه، هل يكون مفطرًا بذلك؟

الجواب: من دخل إلى جوفه شيء رغمًا عنه ودون اختيار؛ كمن تمضمض أو استنشق أو استحم فدخل الماء إلى جوفه دون اختيار؛ أو دخلت إلى جوفه ذبابة أو غبار؛ فصومه صحيح ولا شيء عليه.

السؤال(٧): هل يجوز للصائم استعمال الطيب والبخور في نهار رمضان؟

الجواب: نعم؛ يجوز للصائم استعمال الطيب والبخور؛ ولكن بشرط ألا يستنشق البخور، قال ابن تيمية: وشم الروائح الطيبة لا بأس به للصائم.

السؤال(٨): ما حكم الاستحمام في رمضان أكثر من مرّة؟

الجواب: الاستحمام في نهار رمضان جائز ولا بأس به؛ وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب على رأسه الماء من الحر أو من العطش وهو صائم؛ وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم «كان يصبح جنبًا، وهو صائم، ثم يغتسل» [متفق عليه]. لكن عليه أن يحترز من أن يدخل إلى جوفه شيء من الماء.

السؤال(٩): هل يجوز للصائم بلع ريقه أم يجب عليه أن يبصقه؟

الجواب: يجوز للصائم أن يبلع ريقه من غير خلاف بين أهل العلم؛ وذلك لمشقة التحرز منه.

السؤال(١٠): هل يجوز للصائم استعمال السواك؛ وهل يباح له استعمال معجون الأسنان؟

الجواب: يجوز للصائم أن يستعمل السواك في نهار رمضان؛ لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب» [البخاري ١٩٣٤].

ويباح استعمال معجون الأسنان للصائم؛ ولكن عليه أن يتحفظ ويحترز من بلع شيء منه.

السؤال(١١): هل يجوز للرجل تقبيل زوجته وهو صائم؟

الجواب: إذا كان يأمن على نفسه فالصحيح أن القبلة تجوز له؛ فقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبّل وهو صائم، ويباشر وهو صائم، وكان أملككم لإربه» [مسلم ١١٠٦] أي: شهوته. ولا فرق بين الشيخ والشاب في ذلك، والاعتبار بتحريك الشهوة.

السؤال(١٢): لو احتلم المرء وهو صائم؛ فهل يؤثر ذلك على صيامه؟

الجواب: الاحتلام لا يفسد الصوم ولا يؤثر فيه؛

لأنه ليس باختيار العبد؛ ولكن عليه غسل الجنابة إذا خرج منه المني، فعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم «كان يصبح جنبًا، وهو صائم، ثم يغتسل» [متفق عليه].

السؤال(١٣): لو أخذ من الصائم دم لتحليله أو خرج منه دمٌ بسبب الرعاف؛ أو جرح؛ ونحو ذلك؛ فهل يبطل صومه بخروج الدم؟

الجواب: خروج الدم من الصائم كالرعاف والاستحاضة أو الجرح في الجسم؛ ونحو ذلك؛ لا يفسد الصوم. ومثله لو أخذ منه دم؛ أو خرج من ضرسه دم؛ فلم يبتلعه وقام بلفظه وبصقه؛ كل ذلك لا يؤثر في الصيام؛ وصيامه صحيح.

السؤال(١٤): ما حكم من أكل أو شرب في نهار رمضان ناسيًا؟

الجواب: من أكل أو شرب في نهار رمضان ناسيًا؛ فصومه صحيح؛ لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه؛ فإنما أطعمه الله وسقاه» [متفق عليه]؛ ويجب تنبيهه وتذكيره بالصيام وإن كان ناسياً؛ لأن هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

السؤال(١٥): هل المرض دائمًا يبيح لصاحبه الفطر أم أن هناك تفصيلاً؛ وما هي الأحكام المتعلقة بالمريض إذا أفطر؟

الجواب: من المهم معرفته أن المريض له حالات:

- إن كان قد مرض مرضًا خفيفًا بحيث لا يشق عليه الصوم؛ فهذا يجب عليه الصوم، ولا يحق له الإفطار.

- أن يكون مريضًا بحيث يشق عليه الصوم؛ ولكن هذا من الأمراض العارضة التي تزول؛ فهذا يفطر ثم يقضي الأيام التي أفطرها بعد أن ينتهي رمضان؛ (في أي وقت من السنة، ولكن قبل رمضان القادم). وإنما أبيح الفطر للمريض دفعًا للحرج والمشقة، وقد بني التشريع الإسلامي على التيسير والتخفيف، قال الله تعالى: «يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ» [البقرة:١٨٥]، وقال تعالى: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» [الحج:٧٨]، وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة.

- أن يكون مرض مرضًا لا يرجى برؤه من الأمراض المستعصية التي تتأخر في الشفاء؛كالصرع والسكري والكلى؛ ويخبره الدكتور الثقة أن الصوم يؤذيه، ويؤدي إلى مضاعفات خطيرة يتضرر بها؛ فهذا يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينًا؛ لكل مسكين نصف صاع من طعام أهل البلد.

ولا تُدفع الكفارة مالاً بل طعامًا؛ إلا إذا دفعها لجهةٍ ووكلهم بأن يشتروا عنه طعامًا ويطعمونه المساكين؛ فلا حرج حينئذٍ؛ لأن التوكيل جائز.

السؤال(١٦): ما حكم استعمال الصائم للحقن؟

الجواب: الحقنة جائزة مطلقًا، سواء أكانت للتغذية، أم لغيرها، وسواء أكانت في العروق، أم تحت الجلد، فإنها وإن وصلت إلى الجوف، فإنها تصل إليه من غير المنفذ المعتاد.

السؤال (١٧): هل يجوز للصائم استعمال القطرة؛ أم أنها تفطره؟

الجواب: من استعمل القطرة وهو صائم فهو على أحوال:

فإن استعملها في أنفه، ووصلت إلى جوفه؛ فهي مفطرة وعليه القضاء؛ لأن الأنف منفذ إلى الجوف.

وإن استعملها في العين أو الأذن، فإنها لا تفطر سواء أوجد طعمها في حلقه أم لم يجده، لأن العين ليست بمنفذ إلى الجوف.

وعن أنس: «أنه كان يكتحل وهو صائم» [أبو داود ٢٣٧٨ وحسنه الألباني موقوفًا].

السؤال (١٨): هل يباح الفطر لكبير السن العاجز عن الصيام؛ وما الأحكام المترتبة عليه في هذه الحال؟

الجواب: العجوز والشيخ الفاني الذي فنيت قوته، وأصبح كل يوم في نقص إلى أن يموت لا يلزمهما الصوم، ولهما أن يفطرا، مادام الصيام يُجهدهما ويشق عليهما، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول في قوله تعالى: (وعلى الذين يُطيقونه فدية طعام مسكين): ليست بمنسوخة، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينًا، وأما من سقط تمييزه وبلغ حدّ الخَرَف فلا يجب عليه ولا على أهله شيء لسقوط التكليف، فإن كان يميز أحيانًا، ويهذي أحيانًا، وجب عليه الصوم حال تمييزه، ولم يجب حال هذيانه.

السؤال (١٩): من كانت عليه كفارة إطعام مساكين؛ فكيف يكون الإطعام؟

الجواب:من كان عليه كفارة إطعام مساكين لعدم استطاعة الصوم؛ فإنه مخيّر بين أن يصنع طعامًا فيدعو إليه المساكين بحسب الأيام التي عليه؛ باعتبار مسكين عن كل يوم؛ وإن شاء أطعمهم طعاماً غير مطبوخ؛ عن كل يوم نصف صاع من قوت البلد لكل مسكين؛ ووقت الإطعام: هو بالخيار؛ إن شاء فدى عن كل يوم بيومه؛ وإن شاء أخّر إلى آخر يوم.

ولا يجوز تقديم فدية الإطعام على رمضان.

السؤال (٢٠): أيهما أفضل للمسافر الصوم أم الفطر؟

الجواب: إذا سافر المسلم وهو صائم فهو مخيّر

بين الصوم والإفطار؛ وعليه أن يفعل الأيسر والأرفق في حقه؛ وقد اتفق العلماء على أنه يجوز للمسافر الفطر؛ وإن أراد أن يتم صومه فلا حرج ويصح صومه؛ فإذا كان في الصيام مشقة عليه فهنا يتأكد في حقه أن يفطر؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً قد ظُلِّل عليه في السفر من شدّة الحر وهو صائم؛ فقال: «ليس من البر الصيام في السفر» [مسلم ١١١٥].

وإن لم يكن هناك مشقة فهو بالخيار إن شاء صام وإن شاء أفطر؛ فقد ثبت عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «كنا نسافر مع النبي صلى الله عليه وسلم فلا يعيب الصائم على المفطر؛ ولا المفطر على الصائم» [متفق عليه].

السؤال (٢١): سائقو الشاحنات والسيارات هل ينطبق عليهم حكم المسافر في جواز الفطر؛ نظرًا لعملهم المتواصل خارج المدن في نهار رمضان؟

الجواب: سائقو الشاحنات الذين يسافرون؛ ينطبق عليهم حكم السفر؛ فلهم القصر والجمع والفطر؛ وعليهم القضاء قبل رمضان الآخر؛ (ولو صاموا في أيام الشتاء لكان حسنًا؛ لأنها أيام قصيرة وباردة)؛ أما السائقون داخل المدن فليس لهم الفطر، ولا ينطبق عليهم حكم السفر؛ لأنهم ليسوا بمسافرين.

السؤال (٢٢): الحائض والنفساء..هل يجب عليهما الصوم أم أنهما من أهل الأعذار؛ وما الحكم الذي يتعلق بهما؟ وهل يجوز لهما الأكل والشرب في نهار رمضان؟

الجواب:الحائض والنفساء ليستا من أهل الصيام؛ فإذا حاضت المرأة أو نفست، فإنها تفطر؛ ويحرم عليها الصوم؛ وعليها أن تقضي الأيام التي أفطرتها بسبب ذلك.

ولأنهما ليستا من أهل الصيام؛ فإنه يباح لهما الأكل والشرب في نهار رمضان؛ لإفطارهما بعذر شرعي يمنع من الصوم؛ لكن ينبغي ألا يكون ذلك على مرأى من الصبيان ومَن لا يعقل حتى لا يسبب ذلك عنده إشكالاً.

السؤال (٢٣): إذا طهرت الحائض والنفساء قبل الفجر ولم تغتسل إلا بعد الفجر فهل يصح صومها؛ وإذا أخّر الرجل أو المرأة الاغتسال من الجنابة إلى الفجر؛ فهل صومهم ذلك اليوم صحيح؟

الجواب: إذا طهرت الحائض أو النفساء قبل الفجر؛ صح صومهما ولو أخّرت الاغتسال إلى طلوع الفجر؛ صح صومها وكذلك من كانت عليه جنابة من الليل، وقد أخّر الاغتسال إلى الفجر، فإنه يصح صومه؛ لقول عائشة رضي الله عنها: «إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصبح وهو جنب من جماع أهله فيغتسل ويصوم» [متفق عليه]. وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان قد لا يغتسل من الجنابة إلا بعد طلوع الفجر.

والحائض والنفساء والجنب كلهم يشتركون في هذا الحكم.

السؤال (٢٤): هل يجوز للمرأة أن تستعمل وسيلة لتأخير الحيض من أجل إتمام الصيام؟

الجواب: يجوز للمرأة أن تستعمل وسيلة من وسائل تأخير الحيض؛ لما في ذلك من المصلحة للمرأة في صومها مع الناس؛ لكن يُشترط ألا يؤدي ذلك إلى إلحاق الضرر بالمرأة.

السؤال (٢٥): بعض الناس يدخل عليه رمضان، وهم لم يصوموا أيامًا من رمضان السابق؛ فما الذي يلزمهم في مثل هذه الحال؟

الجواب: الواجب على من فعل ذلك التوبة إلى الله من هذا العمل؛ وأن يقضي الأيام التي تركها بعد رمضان؛ لأنه لا يجوز لمن عليه قضاء أيام من رمضان أن يؤخره إلى رمضان التالي بلا عذر؛ لقول عائشة رضي الله عنها: «كان يكون عليَّ الصوم من رمضان، فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان لمكان النبي صلى الله عليه وسلم» [مسلم ١١٤٦]؛ وهذا يدل على أنه لا يجوز تأخيره إلى ما بعد رمضان التالي.

السؤال (٢٦): من كان عليه قضاء أيام من رمضان هل يجب عليه أن يصومها متتابعة؟

الجواب: من كان عليه قضاء أيام من رمضان يجوز له أن يصومها متفرقة أو متتابعة.

السؤال (٢٧): ما حكم من كان مريضًا ودخل عليه رمضان ولم يصم، ثم مات بعد رمضان، فهل يُقضَى عنه أو يُطعَم عنه؟

الجواب: إذا مات المسلم في مرضه بعد رمضان فلا قضاء عليه ولا إطعام؛ لأنه معذور شرعًا؛ وكذلك المسافر إذا مات في سفره أو بعد القدوم مباشرة؛ فلا يجب القضاء عنه ولا الإطعام؛ لأنهم معذورون شرعًا.

السؤال (٢٨): بعض الناس مصاب بالربو فهل يجوز له استعمال البخاخ أثناء الصيام؛ أم أنه يفطر باستعماله؟

الجواب: يجوز للصائم استعمال البخاخ إذا احتاج إليه؛ ولا يُعَدّ بذلك مفطراً، وذلك لأن هذا البخاخ لا يصل إلى المعدة، وإنما يصل إلى القصبات الهوائية، فتنتفخ، ويتنفس الإنسان تنفسًا عاديًا بعد ذلك؛ ولأنه لا يشبه الأكل والشرب، وليس في معناهما، ومعلوم أن الأصل صحة الصوم حتى يوجد دليل يدل على الفساد من كتاب، أو سنة، أو إجماع، أو قياس صحيح.

هذا والله من وراء القصد

والحمد لله رب العالمين.

رمضان قد عاد

الحمد لله كتب على الخلائق الفناء والزوال، فكان لكلِّ نازلٍ في هذه الدنيا رحيل، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل في محكم التنزيل: «وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» [لقمان:٣٤]، وأشهد أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القائل: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل». [البخاري: ٦٤١٦].

أما بعدُ:

فإن بلوغ رمضان نعمة كبرى، يقدِّرها حقَّ قدرها الصالحون المشمّرون، تُطوى الليالي والأيامُ، وتنصرم الشهور والأعوام، فمن الناس من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وإذا بلغ الكتابُ أجله فلا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون، يشبُّ الصغير، ويهرمُ الكبير، وينظر المرءُ ما قدمت يداه، وكلٌ يجري إلى أجل مسمى.

قعدتْ بالمؤملين آجالُهم عن بلوغ آمالهم، وعدوا أنفسهم بالصالحات فعاجلَهم أمرُ الله، كلُ الناس يغدو في أهدافٍ وآمالٍ ورغبات وأماني، ولكن أين الحازمونَ وأينَ العقلاء؟

أحبتي في الله: لقد أظلكم شهرٌ عظيمٌ مباركٌ كنتم قد وعدتم أنفسكم قبله أعوامًا ومواسمَ، ولعل بعضًا قد أمَّلَ وسوَّفَ وقصَّر، فها هو قد مُدَّ له في أجله وأُنسئ له في عمره فماذا هو فاعلٌ؟

إنَّ واجب الأحياء استشعارُ هذه النعمة واغتنامُ هذه الفرصة، إنها إن فاتت كانت حسرةً ما بعدها حسرة، وأي خسارة أعظم من أن يدخل المرءُ فيمن عناهم المصطفى صلى الله عليه وسلم بحديثه على منبره في مساءلة بينه وبين جبريل الأمين: «من أدرك شهر رمضان فلم يُغفر له فدخل النار، فأبعده الله، قل آمين، فقلت: آمين». [مسند أبي يعلى وصححه الألباني في صحيح الترغيب: ١٦٧٩].

من حُرمَ المغفرة في شهر المغفرة فماذا يرتجي؟

فيا لها من فرصة عظيمة، ومناسبة كريمة، تصفو فيها النفوس، وتهفو إليها الأرواح، وتكثر فيها دواعي الخير، تُفتح الجنات، وتنزلُ الرحماتُ، وترفع الدرجات، وتغفر الزلاتُ، إنه شهر الطاعات بأنواعها، صيامٌ وقيامٌ، وجودٌ وقرآنٌ، وصلواتٌ وإحسانٌ، وأذكارٌ وتسبيح له في نفوس الصالحين بهجةٌ، وفي قلوب المتعبدين فرحةٌ، فـ «يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاءُ من النار، وذلك كلَّ ليلة». [صحيح الجامع: ٧٥٩].

طوبى لمن أجاب وأصاب، وويل لمن طُردَ عن الباب، فما أكرمَ اللهُ أمةً بمثلِ ما أكرمَ به أمة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الشهر، ذنوبٌ مغفورةٌ، وعيوبٌ مستورةٌ، ومضاعفةٌ للأجور، وعتق من النار!

فجدَّ – أخي الحبيب – في التوبة، وسارع إليها، فليس للعبد مستراح إلا تحت شجرة طوبى.

قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: من أعظم الاغترار عندي: التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله مع الإفراط، ومن أحب الجنة انقطع عن الشهوات، ومن خاف النار انصرف عن السيئات.

وقال الحسن البصري: إنَّ قومًا ألهتهم أماني المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي – وكذب – لو أحسن الظن لأحسن العمل.

فحصيلة المؤمن في دنياه عمرٌ محدودٌ بالساعات والثواني، وكسبه المبذول رصيدٌ مدَّخرٌ بالأعمال المنجزات من غير كسل أو توانٍ، يتقلب في عُمُر الحياة بقدر ما كُتب له من فسحةٍ، ويكدحُ فيها لينال أكبر المغانم، ومدارُ السعادة في طول العمر وحسن العمل، ومن كانت حصيلته ملأى بالخير من مختلف صنوفه فليهنأ وليستبشر «فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ

أتوقن أن تعود إليه؟

إعداد/ عبده الأقرع

مِّمَّا يَجْمَعُونَ» [يونس: ٥٨]، وأما من كان غارقًا في الشهوات والنزوات، فقد طال عناؤه، وعظم شقاؤه، ومن نوقش الحساب هلك.

ألا نعتبر بمن كان معنا في رمضان الماضي، ولكن حال الموت بينهم وبين إدراك رمضان هذا العام، بل وافاهم رمضان وهم تحت الثرى وقد سَرَى فيهم البلى؟ ونحن لا ندري، هل نُتم هذا الشهر أو يحول بيننا وبين إكماله هاذمُ اللذات، ومفرِّق الجماعات؟

فبادروا وفقكم الله إلى الخيرات، وتسابقوا في الطاعات، فلكل ظاعن مقرّ، ولكل نبأ مستقر، وسوف تعلمون، قال الله تعالى: «حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ» [المؤمنون: ٩٩- ١٠٠].

قال قتادة: والله ما تمنَّى إلا أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أمنية الكافر المفرط، فاعملوا بها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكان العلاءُ بن زياد يقول: لينزلن أحدكم نفسَه أنه قد حضرهُ الموتُ فاستقال ربَّهُ فأقاله، فليعمل بطاعة الله تعالى، وكذلك يسألون الرَّجعة إذا وُقفوا على ربهم للسؤال، قال الله تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» [السجدة: ١٢- ١٤].

وكذلك يسألون الله الرجعة إذا وقفوا على النار، قال الله تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ» [الأنعام: ٢٧- ٢٨].

وكذلك يسألون الرجعة وهم في غمرات الجحيم، قال الله تعالى: «وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ» [فاطر: ٣٦، ٣٧].

وقال تعالى: «هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ» [الأعراف: ٥٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من كان له مال يبلغه حج بيت ربه، أو تجب عليه فيه زكاةٌ فلم يفعل سأل الرجعة قبل الموت، فقال رجلٌ: يا ابن عباس، اتق الله، فإنما يسأل الرجعة الكفار. فقال ابن عباس: سأتلوا عليك بذلك قرآنًا: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ» [المنافقون: ٩- ١١].

ألا فاتقوا الله عباد الله وأروا ربكم من أنفسكم خيرًا، فمن كان مجدًا فليزدد، ومن كان مقصرًا فليتب إلى ربه: «فإن سفر القيامة طويل، فخذوا ما يُصلحكم، صوموا يومًا شديد الحر لحر يوم النشور، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور، وتصدقوا بصدقة السرِّ ليوم عسير».

لما قيل للأحنف بن قيس: إنك شيخٌ كبير وإنَّ الصوم يُضعفك. قال: «إني أُعدُّ لسفر طويل، والصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذاب الله».

فبادر - أخي الحبيب - إلى التوبة، ودع عنك لعل وسوف، ولا يغرك طول الأمل، فإنَّ الموت يأتي فجاة، والموت يطلبك في كل لحظة.

واعلم أنَّ «رمضان قد عاد.. فلعلك لا تعود».

والحمد لله رب العالمين.

رمضان شهر القرآن

إعداد/ معاوية محمد هيكل

الحمد لله الذي خص بالفضل شهر رمضان على سائر الأيام، وجعل صيامه أحد أركان الإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام خير من صلى وصام، وعلى آله وصحبه الكرام، وبعدُ:

فبين الأيام والشهور تفاوت في الفضل بحسب ما جعل فيها من مزايا وما أودع فيها من بركات ونعمات، ولرمضان مزية على غيره من الشهور؛ لما استجمع من الفضائل وما حواه من نفحات، مما يستشعر به المسلم مكانة رمضان ومنزلته بين شهور العام فيخصه بمزيد من الطاعة وألوان القُرُبات، وفي مقدمة ذلك الصيام والقيام وقراءة القرآن طلبًا للمغفرة والرضوان، كما قال صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه» [متفق عليه].

وإن من فضائل رمضان ومزاياه أن الله عز وجل جعله مستودعًا لنزول القرآن العظيم، قال تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ» [البقرة:١٨٥]، وقال تعالى: «إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾» [القدر: ١ - ٣].

فضل القرآن ومنزلة حامله

قال الله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ» [فاطر:٢٩]، وتلاوة القرآن على نوعين؛ تلاوة حكمية، وهي تصديق أخباره وتنفيذ أحكامه وفعل أوامره واجتناب نواهيه.

والنوع الثاني: تلاوة لفظية وهي قراءته، وقد جاءت النصوص في فضلها كثيرة، وهذا من النصيحة لكتاب الله عز وجل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة». قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتاب ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» [مسلم ٥٥].

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء رحمهم الله: النصيحة لكتاب الله تعالى؛ هي الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله الخلق بأسرهم، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذبُّ عنه لتأويل المحرفين، وتعرض

الطاعنين، والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتناء بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم بمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه، والدعاء إليه وإلى ما ذكرناه من نصيحته».

والقرآن هو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم، من عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم، لا تشبع منه العلماء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تزيغ به الأهواء، ومن تركه واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا.

والقرآن هو كلام الله تعالى أنزله على رسوله وتعبّدنا بتلاوته، وجعل الخيرية في تعلمه وتعليمه، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». [رواه البخاري].

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو» [متفق عليه].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» [رواه مسلم].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خيرٌ له من ناقتين وثلاثٌ خيرٌ له من ثلاث، وأربعٌ خيرٌ له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل» [رواه مسلم: ٨٠٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» [رواه مسلم].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران». [متفق عليه].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين». [رواه مسلم ٨١٧].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجلٌ آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار». [متفق عليه].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حرفًا من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: ألم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». [رواه الترمذي وصححه الألباني].

وقارئ القرآن يترجح على غيره في الدنيا والآخرة وعند الوضع في القبر، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

القرآن هو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم، من عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم، لا تشبع منه العلماء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تزيغ به الأهواء، ومن تركه واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا

«يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى». [رواه مسلم].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم عندما ضاقت القبور بالموتى يوم أُحد يسأل: أيهم أكثر أخذًا للقرآن، فإذا أشير إلى أحدهما قدّمه في اللحد، ويوم القيامة يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها. [رواه الترمذي وقال حسن صحيح، وصححه الألباني].

حامل القرآن له شأن آخر

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس مفطرون، وبحزنه إذ الناس يفرحون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبخشوعه إذ الناس يختالون.

وعن الفضيل قال: حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو؛ تعظيمًا لحق القرآن.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنه قرأه من الليل». [رواه مسلم].

من آداب التلاوة

ينبغي أن يحرص القارئ لكتاب الله على تنظيف فمه بالسواك، ويستحب أن يقرأ القرآن على طهارة تامة، ولا يمس القرآن إلا طاهرًا، ويجوز للحائض والنفساء أن تقرأ القرآن دون أن تمس المصحف، أما الجنب فلا يجوز له القراءة؛ لأن بمقدوره رفع الجنابة في الحال، أما الحائض فليست كذلك.

ويستحب أن تكون القراءة في مكان نظيف ولو استقبل القبلة لكان خيرًا، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إني لأقرأ حزبي وأنا مضطجعة على السرير، وعنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكئ في حجري وأنا حائض ويقرأ القرآن. [متفق عليه].

وينبغي له أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم إذا أراد الشروع في القراءة، قال تعالى: « فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ » [النحل:٩٨]، ويقرأ بهيئة الخشوع والتدبر: « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ » [محمد:٢٤]، وقد بات جماعة من السلف كل منهم يتلو آية واحدة يتدبرها ويرددها إلى الصباح.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صلى بالجماعة فقرأ سورة فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته. فالبكاء مستحب مع القراءة وبعدها.

وينبغي أن يرتل قراءته، وأن يخرج الحروف من مخارجها الصحيحة، قال الله تعالى: «وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا» [المزمل:٤]، ويستحب إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله، وإذا مر بآية عذاب أن يستعيذ بالله من الشر ومن العذاب، وإذا مر بآية تنزيه لله تعالى نزّه ربه سبحانه.

فعن حذيفة رضي الله عنه قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران

ينبغي أن يحرص القارئ لكتاب الله على تنظيف فمه بالسواك، ويستحب أن يقرأ القرآن على طهارة تامة، ولا يمس القرآن إلا طاهرًا، ويجوز للحائض والنفساء أن تقرأ القرآن دون أن تمس المصحف، أما الجنب فلا يجوز له القراءة؛ لأن بمقدوره رفع الجنابة في الحال

فقرأها، يقرأ ترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل. [رواه مسلم].

ويستحب طلب التلاوة من قارئ حَسن الصوت، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: ذَكِّرنا ربنا.

ويستحب تحسين الصوت بالتلاوة والاجتماع على قراءة القرآن، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود». [متفق عليه].

والمزمار هو الصوت الحسن ويحرم تفسير القرآن بغير علم، كما يحرم المراء والجدال فيه بغير حق.

تلاوة القرآن في رمضان

وينبغي لكل مسلم في هذا الشهر المبارك أن يُقبل على مائدة القرآن، وأن يُكثر من تلاوته، فإن للتلاوة فيه مزية خاصة، وذلك لشرف الزمان، فقد كان جبريل يعارض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن في كل سنة مرة، فلما كان العام الذي تُوفي فيه عرضه مرتين. [رواه البخاري، ومسلم، واللفظ له].

وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يكثرون من تلاوة القرآن في رمضان في الصلاة وفي غيرها، وكان الزهري رحمه الله إذا دخل رمضان يقول: إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام.

وكان مالك رحمه الله إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث ومجالس العلم، وأقبل على قراءة القرآن من المصحف.

وكان قتادة رحمه الله يختم القرآن في كل سبع ليالٍ دائمًا، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأخير منه في كل ليلة، وكان إبراهيم النخعي رحمه الله يختم في رمضان في كل ثلاث ليالٍ، وفي العشر الأواخر في كل ليلتين، وكان الأسود رحمه الله يقرأ القرآن كله في ليلتين في جميع الشهر، وقال الحميدي: كان الشافعي يختم كل يوم ختمة، وعن أبي حنيفة نحوه.

قال ابن رجب رحمه الله: «وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان، خصوصًا في الليالي التي يُطلب فيها ليلة القدر أو الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار من تلاوة القرآن اغتنامًا للزمان والمكان، وهو قول أحمد، وإسحاق وغيرهما من الأئمة وعليه يدل عمل غيرهم». [لطائف المعارف: ١٩١، ١٩٢].

وجوب تعظيم القرآن الكريم

وقد أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن على الإطلاق وتنزيهه وصيانته، وأجمعوا على أن من جحد منه حرفًا مما أُجمع عليه أو زاد حرفًا لم يقرأ به أحدٌ وهو عالم بذلك فهو كافر، وعلى المسلمين أن يسعوا في تحكيم كتاب ربهم في حياتهم الخاصة والعامة، في سياستهم واقتصادهم واجتماعهم، وأخلاقهم، وحربهم وسلمهم، وأن ننتهز فرصة الشهر المبارك في إقامة حدوده وحروفه، فنُحِلّ حلاله، ونُحرِّم حرامه، ونقف عند محكمه، ونؤمن بمتشابهه، ونتلوه حق تلاوته، فالقرآن لم يُنزل لعمل الأحجبة ولا ليقرأ على الموتى، ولكن « لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ » [يس: ٧٠].

والحمد لله رب العالمين.

على المسلمين أن يسعوا في تحكيم كتاب ربهم في حياتهم الخاصة والعامة، في سياستهم واقتصادهم واجتماعهم، وأخلاقهم، وحربهم وسلمهم، وأن ننتهز فرصة الشهر المبارك في إقامة حدوده وحروفه، فنُحِلّ حلاله، ونُحرِّم حرامه، ونقف عند محكمه، ونؤمن بمتشابهه، ونتلوه حق تلاوته

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

رمضان شهر الدعاء

قال الله تعالى: « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ » [البقرة: ١٨٦].

من هدي رسول الله في رمضان

مراجعته للقرآن

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ. [متفق عليه].

دعاء رؤية الهلال

عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله». [الترمذي ٣٤٥١ وصححه الألباني].

رمضان شهر الخير والرحمات

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجِنَانِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ وَنَادَى مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ عِنْدَ كُلِّ لَيْلَةٍ. [الترمذي ٦٨٢ وصححه الألباني].

رمضان شهر الصيام والقرآن

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فيه، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فيه. قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ». [مسند الأمام احمد 6626 وصححه الألباني].

من الخاسر في رمضان؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رغم أنف رجل (أي: خاب وخسر) دخل عليه رمضان، ثم انسلخ قبل أن يُغفر له». [الترمذي 3545 وصححه الألباني].

إعداد/ علاء خضر

رمضان شهر التربية

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل إني صائم إني صائم». [صحيح ابن خزيمة ١٩٩٦].

رمضان شهر والجود الكرم

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من فطر صائمًا كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا» [الترمذي ٨٠٧ وصححه الألباني].

رمضان شهر الاجتهاد في العبادات

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره. [مسلم ١١٧٥].

في السحور بركة

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «السحور أكلة بركة فلا تدعوه، و لو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين». [مسند أحمد ١١١٠١ وصححه الألباني].

دعاء ليلة القدر

عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني». [الترمذي ٣٥١٣ وصححه الألباني].

لا تحرم نفسك الخير!

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل رمضان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرمها فقد حرم الخير كله، ولا يُحرم خيرها إلا كل محروم» يعني ليلة القدر. [ابن ماجه ١٦٤٤، وصححه الألباني].

صحح لغتك

من الخطأ أن تقول: سُحور - فُطور - قُبول، بضم الأول. والصحيح: سَحور - فَطور- قَبول، بفتح الأول.. وكما ذكر في مختار الصحاح: السَّحُورُ بالفتح ما يُتَسَحَّرُ به. بخلاف: لخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، فإن الصواب فيها بضم الخاء.

أثـــر عبـادة رمضـان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعدُ:

شرع الله العبادات من أجل صلاح العباد والمجتمعات، فهي ارتباط وعلاقة بين الخالق سبحانه وتعالى وبين العبد، يسمو بها العبد فوق أسر شهواته وشبهاته، فهي ليست مجرد أقوال يلوكها اللسان، أو حركات تؤديها الجوارح، بلا تدبر من عقل ولا خشوع من قلب، بل إن أثرها يصبغ الفرد بصبغة أخلاقية رفيعة تتعدى منه إلى سائر الناس والمخلوقات.

٢- مفهوم العبادات:

إن العبادات التي تؤتي ثمارها الطيبة ونتائجها العظيمة، ليست انطواءً أو انزواءً أو عُزلة عن الحياة والأحياء، للقيام ببعض الشعائر، كما يتصور بعض الناس، ويظنون أنهم إذا قاموا بذلك منقطعين عن الحياة والأحياء، فهم العبّاد.

وهذا مفهوم قاصر ومغلوط، فمفهوم العبادة في الإسلام أرحب وأشمل، وأدق وأعمق من هذا التصور المحدود.

إن العبادات في الإسلام تشمل كيان الإنسان كله، كما تشمل الحياة بأسرها، بل هي غاية الحياة، قال الله تعالى: « وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » [الذاريات:٥٦].

فإذا فهمت العبادات فهمًا صحيحًا وطُبقت تطبيقًا دقيقًا أنتجت مجتمعًا قويًا متحدًا متحابًا يسعى بذمته أدناه، ويكون يدًا على من سواه.

سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن قول الله عز وجل: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » [البقرة:٢١]:

١- ما العبادة؟

٢- وما فروعها؟

٣- وهل مجموع الدين داخل فيها؟

فقال - رحمه الله -: العبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم، والمسكين وابن السبيل، والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشيته والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة.

وذلك أن العبادة هي الغاية المحبوبة والمرضية التي خُلق الخلق لها، كما قال الله تعالى: « وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » [الذاريات:٥٦].

وبها أرسل الله جميع الرسل، كما قال نوح عليه السلام لقومه: «وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ » [الأعراف:٥٩].

وكذلك قال هود وصالح وشعيب - عليهم السلام - لقومهم، وقال تعالى: « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ » [النحل:٣٦]، وقال تعالى: «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ » [الأنبياء:٢٥].

وجعل ذلك لازمًا لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى الموت، كما قال: « وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ » [الحجر:٩٩]. [العبودية لابن تيمية ٣٨-٤٠].



على ضوء ما رأينا من اتساع مفهوم العبادات في الإسلام، يكون لها بالغ الأثر على الأفراد: في تقويم أخلاقهم، وتزكية نفوسهم، وتوجيههم الوجهة النافعة، وتصوغهم صياغة جديدة ترتكز

على الفرد والمجتمع

إعداد/ متولي البراجيلي

على الصلة بالله، والتقرب إليه، وإبراز الخصائص العليا الكامنة فيهم، وتطهيرهم من الغرائز السفلى، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية أوصى الله عباده بالفضائل وحذرهم من الرذائل، فقال سبحانه: «إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» [النحل: ٩٠].

إلى جانب أن العبادات تزكّي في العبد مَلَكة المراقبة لربه تعالى، وترقى به إلى درجة الإحسان، كما قال صلى الله عليه وسلم: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». [متفق عليه].

وكما ورد بحديث النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. [أبو داود والترمذي وصححه الألباني].

فالإنسان مسئول عن نفسه أولاً عن تزكيتها وتهذيبها، ودفعها إلى الخير، وحجزها عن الشر، قال الله تعالى: «وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾» [الشمس:٧- ١٠].

كما أنه مسئول عن حفظها ورعايتها، والتمتع في حدود المباح، قال الله تعالى: «وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ» [القصص:٧٧].

ونهى عن إتلاف نفسه وإضعافها وتعذيبها، قال الله تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» [النساء:٢٩].

وإن كانت الأحاديث موجهة لفرد، فإن المقصود بها الأفراد، ومن مجموع الأفراد تتكون الجماعات والأمم.



الأثر الاجتماعي للعبادات:

إن عظمة الإسلام تبدو في الأثر الاجتماعي للعبادات في دعم الروابط بين الناس وبناء العلاقة بينهم على أسس راسخة من العدل والإخاء والأهداف المشتركة، والإحسان، والإيثار، والبر، والرحمة، والتعاون على طلب الخير، ودفع الضرر؛ وصولاً إلى الجماعة التي ينشدها الإسلام، وهي الجماعة المتماسكة المترابطة التي تكونت من اللبنات الصالحة التي بدأت بالإخاء، ثم تجاوزته إلى الحب، ثم علت حتى صارت إلى الإيثار، فالإسلام أقام علاقة مزدوجة – بين الفرد والمجتمع، فأوجب على كل منها التزامات تجاه الآخر ومزج بين المصلحة الفردية والمصلحة العامة.

فالفرد في الإسلام مسئول تضامنيًا عن نظام المجتمع، وعن التصرف الذي يمكن أن يسيء إلى المجتمع أو يعطل بعض مصالحه.

قال الله تعالى: «وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [سورة التوبة:٧١]، فانظر إلى الآيات وكيف جاء بها ذكر العبادات في سياق الكلام عن المسئولية الجماعية للمؤمنين والمؤمنات في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والنبي صلى الله عليه وسلم بيّن لنا هذه المسئولية الجماعية في أحاديث كثيرة؛ كحديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مثل القائم في حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجو جميعًا. [البخاري ٢٤٩٣].

الأخلاق ثمرة الأثر الاجتماعي للعبادات:

إن الأخلاق الإسلامية تنشأ مع العقيدة، وتسري في العبادات وتتفاعل مع المعاملات، فهي

الثمار الجميلة والمفيدة والمطلوبة من الإنسان على اختلاف مشاربه، وهي في الأصل تبدأ بشد الأفراد في المجتمع برباط متين.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق». وفي رواية مكارم الأخلاق. [مسند أحمد ومستدرك الحاكم، وقال صحيح، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة ٤٥].

قال ابن عبد البر: ويدخل فيه الصلاح والخير كله، والدين، والفضل، والمروءة، والإحسان، والعدل، فبذلك بُعث ليتممه. [شرح الزرقاني على موطأ مالك ٤/٤٠٤].

فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الرسالة كلها، والبعثة بأكملها، من أجل مكارم الأخلاق، فقال صلى الله عليه وسلم: «إنما» وإنما أداة حصر.

فمكارم الأخلاق قدر مشترك بين النبوات وبين جميع الرسالات، فهناك مكارم أخلاق في الرسالات الأولى، وهناك مكارم أخلاق جاء بها الأنبياء المتقدمون، والرسول صلى الله عليه وسلم إنما جاء يتمم ما جاء به مَن قبله.

فأهم ما في سلوك المسلم وأهم ما في تعاليمه هو مكارم الأخلاق، ولذا فإن المولى سبحانه مع تكريمه لسيد الخلق صلى الله عليه وسلم بكل أنواع التكريم، حينما وصفه سبحانه في ذاته، وصفه بقوله سبحانه: « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » [القلم:٤].

وهكذا يقول العلماء: من كرمُت أخلاقه، وحسُن سلوكه، ربما ترك المعاصي حياءً من الله.

فمكارم الأخلاق هي حفاظ الأمم والأفراد، قال الشاعر:

فإنما الأممُ الأخلاقُ ما بَقيَتْ

فإنْ هُمُ ذهبتْ أخلاقهم ذهبوا

وعَنْ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي، فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنْ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي. فَانْطَلَقَ الأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاقِ» [البخاري ٣٨٦١]

وَهذا دريدُ بن الصمة في أول ظهور النبي صلى الله عليه وسلم أرسل ولده من الطائف، وقال له: انزل إلى مكة واسمع من هذا الرجل الذي يذكرونه، واعقل لي ما يقول، فذهب ورجع، وقال: يا أبت، إنه يأمر بالصدق في الكلام، وبصلة الأرحام، وبإطعام الطعام، وأداء الأمانة، وكذا، فقال: يا بني، إن لم يكن دينًا فهو من مكارم الأخلاق». [شرح الأربعين النووية، لعطية سالم بتصرف].

والقرآن الكريم يحث على مكارم الأخلاق ومحاسنها، فيقول سبحانه وتعالى: « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » [الأعراف:١٩٩].

ويقول: «وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » [آل عمران:١٣٤].

ويقول: « لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » [البقرة:١٧٧].

وفي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم؟ قال: «البر حُسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس». [مسلم ٢٥٥٣].

فالبر هو حسن الخلق كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، يشمل وهو في الآية يشمل الدين كله، والآية ذكرت الإيمان والعقائد والأعمال الصالحة، والأقوال الطيبة، ومكارم الأخلاق، فكل هذه الصفات تدخل في الآية، فيكون حُسن الخلق عنوانًا لكل ما جاءت به الشريعة الإسلامية.

عبادة الصيام:

مهما أوتي الإنسان من حكمة فلن يحيط بأسرار الله التي تضمنتها العبادات التي شرعها، ولولا أن الله تعالى أوضح من ذلك جوانب، وأشار إلى أخرى؛ إيناسًا للنفوس وجذبًا للقلوب ما كان لبشر أن يخوض في ذلك أو يتكلم فيه.

إن كل ما قيل عن العبادات وآثارها سواءً على مستوى الفرد أو المجتمع، الصيامُ داخلٌ فيه، فهو عبادة من العبادات، هذا على العموم، أمَّا على الخصوص فنلحظ الآتي:

أ- أثر الصيام على الفرد:

إن الصيام يؤدي إلى ضبط النفس، وإطفاء الشهوات، فإن النفس إذا شبعت تمردت وسعت وراء شهواتها.

ففي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع

فعليه بالصوم فإنه له وجاء». [متفق عليه].

فالصيام يغرس في الإنسان صفات الصدق والوفاء، والإخلاص والأمانة، والصبر عند الشدائد؛ لأن النفس إذا انقادت للامتناع عن الحلال؛ طلبًا لمرضاة الله، فأولى أن تنقاد للامتناع عن الحرام.

فرتابة النعم عليك لا تجعلك تؤدي شكرها، فالإنسان لا يشعر بالنعم إلا إذا فقدها، فإذا فقدها شعر بفضلها وسارع بشكر من أنعم عليه بها - سبحانه وتعالى - قال الله تعالى: «لَئِن شَكَرْتُمْ» [إبراهيم:٧]. فالشكر سبب الزيادة.

والصيام له آثاره البعيدة المدى على النفوس، يقول صلى الله عليه وسلم: «الصيام جُنة». [متفق عليه] (أي: وقاية).

ب- أثر الصيام على المجتمع:

الصوم يثمر التقوى، وعفة النفس، واستقامة الجوارح، ويقظة الضمير، ورحمة القلب، وخشية الرب، وهذه الفضائل تنعكس على المجتمع كله، وتنشر بركتها عليه.

قال الله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » [البقرة:١٨٣]، والتقوى التي جعلها الله غاية للصيام، والجُنة التي وصفه بها النبي صلى الله عليه وسلم يمكن أن يندرج تحتها كل ما أدركنا، وما لم ندرك من حِكَم الصيام، فليس للتقوى حدّ تنتهي عنده، أو غاية تنتهي إليها، قال تعالى: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى » [البقرة:١٩٧]، وكذلك الجُنَّة قد تكون من التقصير والمخالفات، وقد يرقى بها صاحبها، فتكون من الشبهات، وقد يزداد رقيًا فتصبح جنَّة من الغفلات والخطرات.

يقول ابن القيم - رحمه الله -: لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره لله تعالى متوقفا على جمعيته على الله، ولمّ شعثه بإقباله بالكلية على الله، فإن شَعْث القلب لا يلُمّه إلا الإقبال على الله تعالى، وكان فضول الطعام والشراب، وفضول مخالطة الأنام، وفضول الكلام، وفضول المنام، مما يزيده شعثًا ويشعثه في كل واد يقطعه عن سيره إلى الله تعالى، أو يُضعفه أو يعوّقه - اقتضت رحمة العزيز العليم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يُذهب فضول الطعام والشراب ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوّقة له عن سيره إلى الله تعالى، وشرَعَه بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه، ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة». [زاد المعاد ١٦٨/١].

إن المجتمع الذي يستقيم على شريعة الصوم، يكون مجتمعًا قويًا في عقيدته، قويًا في استجابته لأمر ربه، قويًا بتماسكه وتضامنه وتراحمه، قويًا بأخلاقه الكريمة وشمائله النبيلة. [العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين د. علي عبد اللطيف منصور].

توجيهات نبوية لإبراز أثر الصيام على المجتمع:

- لا حاجة لصيام قائل الزور:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». [البخاري ١٩٠٣].

- لا حاجة لصيام من يجهل على الناس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنَّة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم إني صائم». [متفق عليه].

- النهي عن اللغو والرفث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث». [صحيح ابن خزيمة، وهو في صحيح الترغيب والترهيب للألباني].

- صيام لا أجر له:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر». [صحيح سنن ابن ماجه للألباني].

- عاقبة التناقض بين العبادة وإيذاء المجتمع:

قال الله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى » [البقرة:٢٦٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة يُذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها؟

قال: هي في النار.

قال: يا رسول الله، فإن فلانة يُذكر من قلة صيامها وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها؟

قال: هي في الجنة. [رواه أحمد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة].

- فلنحذر أن يكون حالنا كمثل حال المرأة الأولى في إيذاء الخلق وعدم ظهور أثر العبادة على حالها مع الناس، ولنحرص على أن يكون حالنا كالثانية.

والحمد لله رب العالمين.

شهر رمضان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فشهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدًى للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان، شهر محفوف بالرحمة والمغفرة والعتق من النار.

شهر يعظم الله فيه الأجر ويجزلُ المواهب، ويفتحُ أبواب الخير فيه لكل راغب، شهر الخيرات والبركات، شهر المنح والهبات.

وقد فرض الله على عباده آدابًا واجبة لا بد للمسلم أن ياتي بها حتى يكملَ له دينه.

ومن أهمها صلة الأرحام، التي هي من أعظم الواجبات الإسلامية.

والإسلام دين المودة والمحبة، ودين الألفة والاجتماع، ودين التكافل والترابط بين البشر، فكلهم لآدم، وكلهم من ذكر وأنثى، وإذا كان هذا مطلوبًا في كل حال فإنه يكون أعظم وأشد طلبًا في رمضان.

وإذا كان المجتمع الإسلامي يشبه البنيان، كان التماسك بين لبناته أساس قوته وصلابته وزيادة نفعه، وطول بقائه، وكما يبدأ البنيان بلبنتين، ثم ثلاث، ثم أربع.. إلخ. إلى أن يكتمل الأمر بصلة الرحم، ثم الأمر بالإحسان، ومن مبادئ الإسلام الاجتماعية الأولى تشبيك جماعات المسلمين في وحدة جسدية جماعية.

وأولى الناس بذلك الأقرب رحمًا، فلهم حق أخوة الإسلام، ولهم حق قرابة الرحم.

إن الإسلام لا يَهْدِف مجتمعًا متقاتلاً متباغضًا، بل لا يهدف مجتمعًا سالمًا متباعدًا، بل يهدف مجتمعًا متكافلاً، متواصلاً، متحابًا، متفاعلاً، كمثل اليدين، تغسل إحداهما الأخرى، وتعين إحداهما الأخرى، وكمثل البنيان يشد بعضه بعضًا، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ويبدأ المجتمع بصلة الأقارب وذوي الأرحام، وللطاعات آثار محبوبة، وللمعاصي آثار مبغوضة، والتبصير بالمنافع والأضرار في العواقب مهمة الناصح الأمين، فقطيعة الرحم تنذر بقطع الله تعالى خيره عن القاطع، وصلة الرحم تعد بصلة الله تعالى للواصل، ومن هنا أردت أن أتحدث عن مفهوم الرحم، ومكانة صلة الرحم، وفضل صلة الأرحام، وعقوبة قاطع الرحم.

أولاً: مفهوم الرحم:

الرحم - بفتح الراء وكسر الحاء - في الأصل رحم المرأة، وهو بيت منبت ولدها ووعائها، ثم استعير للقرابة، لكونهم خارجين من رحم واحدة، ويقال للأقارب: ذو رحم، كما قال لهم: أرحام.

والمراد بالأرحام في الاصطلاح: جميع الأقارب ما عدا الأب والأم، وهم كل من بينه وبينك نسب، سواء أكان ورثة أم لا، وسواء أكان ذا محرم أم لا.

ثانيًا: حكم صلة الأرحام:

ذكر القرطبي في تفسيره: اتفاق الأمة على حرمة قطع الرحم، ووجوب صلتها، ولا ينبغي التوقف في كون القطع كبيرة.

والمراد بصلة الرحم: الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والعطف عليهم والرفق بهم ورعاية أحوالهم، وزيارتهم، وتفقد أحوالهم، وإكرامهم والإهداء إليهم، والتصدق على فقيرهم باعتباره أحق من الفقير البعيد، وتكون كذلك بتعهد مرضاهم ومشاركتهم في مسراتهم ومواساتهم في أحزانهم، وتقديمهم على غيرهم في كل أمورهم.

والنصوص آمرة بالصلة، ناهية عن القطيعة ولا واسطة بينهما. والصلة إيصال نوع من الإحسان، كما فسرها بذلك غير واحد، فالقطيعة ضدها، فهي ترك الإحسان، وقال القاضي عياض: الصلة درجات، بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة، وصلتها بالكلام، ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف

وصلة الأرحام

إعداد/ سعيد عامر

أمين عام لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

القدرة والحاجة، فمنها واجب ومنها مستحب، ولو وصل بعض الصلة، ولم يصل غايتها، لا يسمى قاطعًا، ولو قصر عما يقدر عليه وعما ينبغي له، لا يسمى واصلاً.

ثالثا: مكانة صلة الأرحام:

صلة الأرحام تحتل مكانة عظيمة، فهي من أوائل ما نزل من التشريع في الإسلام، والآيات المكية تدل على ذلك والأحاديث النبوية الصحيحة.

روى الإمام مسلم (٨٣٢) من حديث عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: كنت وأنا في الجاهلية أظن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيًا، جُرَءَاءُ عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت: ما أنت؟

قال: أنا نبي. فقلت: وما نبي؟

قال: «أرسلني الله». فقلت: بأي شيء أرسلك.

قال: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يُوحد الله لا يشرك به».

قلت: فمن معك على هذا؟

قال: «حر وعبد». ومعه يومئذ أبو بكر وبلال.

فقلت: إني متبعك.

قال: «إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي ظهرت فأتني».

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصل الناس للرحم، فكان يحب أقاربه حبًا جمًا، ومما يدل على ذلك قصة بدء الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، وهي ثابتة في الصحيحين من حديث عروة بن الزبير، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة في النوم... حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك، فقال: اقرأ. فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: زملوني زملوني، فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة: أي خديجة ما لي؟ لقد خشيت على نفسي، وأخبرها الخبر، فقالت: كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. [متفق عليه]

وفي غزوة أحد قاتل حمزة بن عبد المطلب قتالاً شديدًا، وكان وحشي، غلام جبير بن مطعم، له بالمرصاد، وحمل وحشي على حمزة بحربته، فوقع شهيدًا رضي الله عنه، وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم، وأثناء تفقّد النبي صلى الله عليه وسلم للشهداء، يقف النبي صلى الله عليه وسلم أمام عمه حمزة، وقد مثلوا به، وحلفت هند أن تأكل كبده، وكان هذا أغيظ موقف في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم: «رحمة الله عليك، إن كنت ما علمتك إلا وصولاً للرحم، فعولاً للخيرات». ثم قال: «والله لأمثلن بسبعين منهم». فنزل القرآن: «وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين × واصبر وما صبرك إلا بالله» [النحل: ١٢٦، ١٢٧]. [الحاكم (٣/٢١٨) وصححه، وضعفه الذهبي].

فعندما مدح النبي صلى الله عليه وسلم حمزة، مدحه لصلته للرحم، ولما أسلم وحشي في السنة التاسعة، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «اجلس وقص عليَّ كيف قتلت حمزة» [الطبراني في الأوسط ١٨٠٠]. ما نسي النبي صلى الله عليه وسلم حمزة، مع أنه قُتل في السنة الثالثة من الهجرة، ووحشي أسلم في السنة التاسعة للهجرة.

وكذا حب النبي صلى الله عليه وسلم لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وعند عودته من بلاد الحبشة، قام إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبَّله... وفرح بقدومه كفرحه بالانتصار على يهود خيبر، وقال: «لست أدري بأيهما أُسَرُّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر» [الحاكم (٢/٦٨٢) وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني]. وضع فرحته صلى الله عليه وسلم بقدوم جعفر مساوية لفرحته بالنصر على اليهود في خيبر.

وقد التزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضيلة صلة الرحم، إيمانًا منهم بثوابها العظيم عند الله؛ لأن أفضل الصدقة وأفضل أعمال البر هو ما كان منها على الأرحام وما وجد فيهم ذو حاجة.

ومن لطائف الشريعة الإسلامية أن الصدقة على المسكين غير القريب تحسب صدقة، أما الصدقة على ذي الرحم فتحسب باثنين، صدقة وصلة، روى الترمذي بإسناد حسن عن سلمان بن عامر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة» [أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني].

بل إن الشريعة الإسلامية تحث على الصدقة والإحسان والهدية مع ذي الرحم الكاشح، أي الذي يضمر العداوة، عسى أن يعود ويرجع عن بغضه، إلى مودة قريبه ومحبته، فعن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الصدقة؛ الصدقة على ذي الرحم الكاشح» [أحمد والطبراني وصححه الألباني]..

وعن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه، قالت: أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي؟ قال: «أو فعلت؟» قلت: نعم. قال: «أما إنكِ لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك» [متفق عليه].

فيظهر من هذا الحديث أن أخوال أم المؤمنين ميمونة كانوا ذا حاجة، أو أن صلتها لهم تؤلف قلوبهم وتجبر خواطرهم.

ومن لطيف ما يروى أنه جرت بين محمد ابن الحنفية وأخيه الحسن بن علي رضي الله عنهما، جفوة، فانصرفا متغاضبين، فلما وصل محمد إلى بيته أخذ ورقة وكتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن علي بن أبي طالب، إلى أخيه الحسن بن علي بن أبي طالب أما بعد:

فإن لك شرفًا لا أبلغه، وفضلاً لا أدركه، فإذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك، وسر إليّ فترضني، وإياك أن أكون سابقك إلى الفضل الذي أنت أولى به مني، والسلام.

فلما قرأ الحسن الرقعة لبس رداءه ونعليه، ثم جاء إلى أخيه محمد فترضاه، وفي رواية: «وإن أمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمي امرأة من بني حنيفة، فوالله لو أن ملء الأرض من مثل أمي ما عدلن أمك، فإذا بلغك كتابي هذا فاحضر إليّ لتترضاني، فإنك أحق بالفضل مني.. فما أن بلغ الكتاب إلى الحسن، حتى بادر إلى أخيه وترضاه».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت: «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» [آل عمران: ٩٢]، قام أبو طلحة، فقال: يا رسول الله إن الله يقول: «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»، وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برَّها وذُخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بخ بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين». قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. [متفق عليه].

وعن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تصدقن يا معشر النساء ولو من حُليكن». قالت: فرجعت إلى عبد الله بن مسعود، فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالصدقة، فأته فاسأله، فإن كان ذلك يجزي عني، وإلا صرفتها إلى غيركم، تريد بذلك إعطاء صدقتها إلى زوجها إذا كان هذا جائزًا. فقال عبد الله: بل ائته أنت.

قالت زينب: فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتي حاجتها، قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ألقيت عليه المهابة، قالت: فخرج بلال فقلنا له: ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما، وعلى أيتام في حجورهما، ولا تخبره من نحن. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لهما أجران، أجر القرابة، وأجر الصدقة».

فإذا كانت هذه منزلة صلة الأرحام وقدرها في الإسلام في كل وقت، فهي في رمضان - شهر العبادات والقربات - أعظم عند الله تعالى، لأن هذه العبادات قد لا ترفع عند الله ولا تقبل إذا كان المسلم قاطعًا لرحمه، وإذا كان المتهاجران من غير ذوي القرابة لا ترفع لهم أعمال، فإن ذوي الأرحام هجرهم أعظم وزرًا، وأشد خطرًا على المسلم.

نسأل الله أن يتقبل صيامنا، وأن يعيننا على صلة أرحامنا، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وللحديث بقية في العدد القادم، إن شاء الله تعالى.

طهروا قلوبكم ووحدوا صفوفكم



إعداد/ محمد الصادق

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، أحمده سبحانه وتعالى على ما أنعم، وأصلي وأسلم على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعدُ:

خلق الله سبحانه الخلق وفضّل بعضهم على بعض، وخلق الأيام وفضّل بعضها على بعض، وخلق الإنسان وفضله على جميع مخلوقاته، وجعل في الجسد عضوًا هو أعظم أعضاء الإنسان، وجعله الملك على باقي الجوارح بصلاحه وطهارته صلح أمر باقي الجوارح، وبفساده ومرضه تفسد باقي الجوارح، هذا العضو هو القلب.

وفي هذا المقال وبمناسبة شهر رمضان الذي تزكو فيه القلوب والذي هو أفضل الشهور عند الله سبحانه وتعالى وأحب الشهور إلى المؤمنين وذلك بما خص الله هذا الشهر بفضائل كثيرة منها أنه تُفتح فيه أبواب الجنة الثمانية، وتُغلق فيه أبواب النار، وتُصفد فيه مردة الجن، وهو شهر الرحمة والعتق من النار نعرض لبعض مقاصد تطهير القلب.

فما هو القلب؟

القلب هو الملك للجوارح

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعًا: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». [رواه البخاري في كتاب الإيمان].

لأنه الملك فبصلاحه تصلح الرعية، ولأن ما وقر في القلب يظهر على الجوارح.

قال ابن القيم رحمه الله: أشرف ما في الإنسان قلبه، فهو العالم بالله، الساعي إليه، المحب له، وهو محل الإيمان والعرفان، وهو المخاطب المبعوث إليه الرسل، المخصوص بأشرف العطايا من الإيمان والعقل، وإنما الجوارح أتباع للقلب يستخدمها استخدام الملوك للعبيد، والراعي للرعية، والذي يسري إلى الجوارح من الطاعات والمعاصي إنما هي آثاره، فإن أظلم أظلمت الجوارح، وإن استنار استنارت، ومع هذا فهو بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل.

فسبحان مقلب القلوب ومودعها ما يشاء من أسرار الغيوب، الذي يحول بين المرء وقلبه، ويعلم ما ينطوي عليه من طاعته ودينه، مصرّف القلوب كيف أراد وحيث أراد، أوحى إلى قلوب الأولياء أن أقبلي إليّ فبادرت، وقامت بين يدي رب العالمين، وكره عز وجل انبعاث آخرين فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين.

يعلم من هذا الكلام عظم شأن هذه الجارحة، وإن عليها مدار الصلاح والفساد لسائر الأعضاء والجوارح والأعمال، القلب السليم يستجيب لأمر الله

وينتهي بنهيه سبحانه، ويمتثل أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وينتهي بنهيه، نسأل الله أن يصلح قلوبنا في هذا الشهر الكريم.

وهذا القلب اختصه سبحانه بخصائص عن باقي الجوارح، كما اختص شهر رمضان بخصائص كثيرة، ومن خصائص هذا القلب:

أنه يتقلب، ففي الحديث المرفوع: «القلب أشد تقلبًا من القدر إذا استجمعت غليانًا». وفي الحديث الآخر: «مثل القلب مثل ريشة بفلاة من الأرض تحركها الريح»، وفي صحيح البخاري عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ومقلب القلوب» [البخاري ٦٦١٧].

وفي جامع الترمذي عن أبي سفيان قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». قال: فقلت: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء» [الترمذي ٢١٤٠ وصححه الألباني].

قال الله تعالى: «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ» [آل عمران:٨].

القلب هو محل نظر الرب سبحانه

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». [مسلم ٢٥٦٤].

وحينئذ، فقد يكون كثيرٌ ممن له صورةٌ حسنةٌ، أو مال، أو جاهٌ، أو رياسةٌ في الدنيا، قلبه خراب من التقوى، ويكون من ليس له شيء من ذلك قلبه مملوءًا من التقوى، فيكون أكرم عند الله تعالى، بل ذلك ربما يكون الأكثر وقوعًا.

قال بعض أهل العلم: قد أبان هذا الحديث أن محل القلب موضع نظر الرب، فيا عجبًا ممن يهتم بوجهه، الذي هو نظر الخلق فيغسله وينظفه من القذر والدنس، ويزينه بما أمكن؛ لئلا يطلع فيه مخلوق على عيب، ولا يهتم بقلبه الذي هو محل نظر الخالق، فيطهره ويزينه، لئلا يطلع ربه على دنس أو غيره.

لذا وجب علينا أن نتعاهد القلوب ونحاول أن نطهرها وننظفها مما فيها من دنس وحقد وحسد، ومن جميع أمراض القلوب؛ لأن بصلاحها يصلح البدن.

القلب مكان الإيمان أو النفاق

ففي حديث علي رضي الله عنه: إن الإيمان ليبدو لمظة بيضاء في القلب، كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة.

وقوله: «لمظة». قال الأصمعي: اللمظة مثل النكتة ونحوها من البياض، ومنه قيل: فرس ألمظ، إذا كان بجحفلته شيء من بياض. والمحدثون يقولون: «لمظة» بالفتح. وأما كلام العرب فبالضم، مثل شُبهة ودُهمة وخُمرة.

وكذلك النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب كلما ازداد النفاق اسود القلب حتى يسود القلب كله، وعن الحسن رحمه الله: ليس الإيمان بالتحلي ولا الدين بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال.

هنا نعلم أن هذا القلب كأنه وعاء إما أن يكون فيه إيمان أو نفاق، أو فيه هذا وذاك، اللهم املأ قلوبنا إيمانًا وطهرها من النفاق.

القلب محل التقوى

ومن أعظم ثمرات الصيام التقوى، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [البقرة:١٨٣]، ففرصة هذا الشهر في التزود من التقوى فرصة عظيمة وبها يصلح القلب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا، وأشار إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه». [مسلم ٢٥٦٤].

القلب محل الغنى والفقر

عن أبي ذر رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر أترى كثرة المال هو الغنى؟ قلت: نعم. قال: وترى قلة المال هو الفقر؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب» [الحاكم وصححه وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٨٢٧].

فالغنى ليس بكثرة العرض، إنما ذلك يكون بقناعة القلب ورضاه عما وهبه الله سبحانه.

أنواع القلوب

ذكر ابن القيم في إغاثة اللهفان أن أنواع القلوب ثلاثة:

١- قلب سليم: وهو الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به، قال تعالى: «يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» [الشعراء:٨٨، ٨٩].

والقلب السليم هو الذي سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالجملة فالقلب السليم الصحيح هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبادته لله: إرادة وتوكلاً ومحبةً وإنابة وإخباتًا وخشية ورجاء.

٢- «وقلب ميت»: وهو المتعبد لغير الله حبًا وخوفًا ورجاءً ورضًا وسخطًا: إن أبغض أبغض لهواه، وإن أحب أحب لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه، فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه.

٣- «وقلب مريض» وهو الذي له حياة وبه علة، فله مادتان: تمده هذه مرة، وهذه مرة أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات والحرص على تحصيلها ما هو مادة هلاكه وعطبه، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: القلوب أربعة: قلب أجرد فيه سراج يُزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلفُ فذاك قلب الكافر، وقلب منكوس، فذاك قلب المنافق، وقلب فيه مادتان: مادة تمده الإيمان ومادة تمده النفاق، فأولئك قوم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا.

فعلى المرء أن يعود قلبه على هذه الأوصاف فإذا وجد خيرًا فليحمد الله وإن وجد غير ذلك فليسرع بالتوبة وتطهير قلبه وذلك من باب «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا».

أسباب الصحة والمرض للقلب

الأصل في القلب الصحة، وإنما يمرض بأسباب، ومن أعظم هذه الأسباب الذنوب والمعاصي.

قال حذيفة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تُعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا، فأي قلب أُشربها نُكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه» [مسلم ٣٨٦].

من هذا الحديث يتضح أن السبب في مرض القلب هو قبوله للفتن والمعاصي، وتأخره عن التوبة، فكلما عرض عليه الشيطان شبهة أو شهوة أخذ بها فينكت في قلبه نكتة سوداء، حتى يسود، والعياذ بالله.

وعلامته أنه لا يعرف الحق، ولا يأمر به إلا ما وافق هواه، ولا ينكر منكرًا ولا ينهى عنه إلا ما وافق هواه.

صاحب هذا القلب المريض يعادي المؤمنين والصالحين من الناس، ويحب ويوالي أهل المعاصي والفسوق والبدعة نعوذ بالله من الخذلان.

وهنا نقول له: أخي أتاك رمضان شهر مبارك تُفتح فيه أبواب الرحمة وتمتلئ القلوب من التقوى، وهذا سبيل لشفاء قلبك وتطهيره، وبهذا تتحد القلوب على محبة الله وعلى محبة رسول الله والمؤمنين، فيظهر في المجتمع فعل الطاعات والتواصي بالحق، هنا نستطيع أن نقول: إن هناك تغيرًا؛ لأن الله تعالى قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ» [الرعد:١١].

وصلاح القلب يكون بالتوبة وفي رمضان تفتح أبواب السماء وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويصلح القلب بقراءة القرآن ورمضان شهر تكثر فيه طرق الخير.

بهذا عرفنا القلب وأنواعه وعرفنا من أعظم أسباب الاتحاد صلاح القلوب وتطهيرها من الشرك ومن البغضاء ومن الرياء ومن الحقد.

وأخيرًا ماذا إذا صلحت قلوبنا؟

إذا صلحت القلوب كان لها عدة فضائل في الدنيا والآخرة، أولاً في الدنيا: الخيرية في الدنيا، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [الأنفال:٧٠]، فالله مطلع على القلوب، فإن علم فيها خيرًا أعطانا الخير، وعن عبد الله بن عمرو، قال: قيل: يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب، صدوق اللسان. قالوا: صدوق اللسان عرفناه، فما مخموم القلب؟ قال: التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد. فطهارة القلب سبب الأفضلية والخيرية.

السكينة والنصر

قال الله تعالى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» [الفتح:١٨]، فبسبب ما في القلوب من الخير كان النصر والسكينة، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية قوله: «فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ»، أي: من الصدق والوفاء، والسمع والطاعة، «فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ» [الفتح:١٨]، وهي الطمأنينة، «عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» [الفتح:١٨]، وهو ما أجرى الله على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم، وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة.

ولصلاح القلب فضائل في الآخرة «الفوز والنجاة»

لا ينفع يوم القيامة إلا القلب السليم، قال الله تعالى: «وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ» [الشعراء:٨٧]، هذا لصاحب القلب السليم فضل عظيم من الله الكريم، فبادر قبل فوات الأوان.

الجنة، قال الله تعالى: «وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ» [ق:٣١]، يعلم من الآية أن خشية الله سبحانه والقلب السليم سبب للفوز بالجنة.

فندعو الله أن يوفقنا في أفضل الشهور أن نصلح أفضل الجوارح، فنسعد سعادة الدنيا والآخرة، اللهم أصلح فساد قلوبنا، وطهرها من كل سوء ومكروه، وألف بين قلوبنا، ووحد على الحق أمتنا، وأجمعهم على كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم، وول علينا خيارنا، ولا تول علينا شرارنا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

رمضان نصر من الله وفتح قريب

إعداد/ سامح أبو الروس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فلقد هبت نسائم البشارات؛ بقدوم شهر التمكين والانتصارات، ففي رمضان من السنة الثانية للهجرة كان يوم الفرقان؛ حيث غزوة بدر الكبرى التي أرست أكبر دعائم التمكين للإسلام ودولته في الأرض، وخطّت أكبر فصول التحول في صفحات التاريخ؛ قال تعالى «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ» (آل عمران: ١٢٣).

وبعدها كان يوم المكرمة يوم أن جاء الحق وزهق الباطل، إنه يوم فتح مكة في رمضان من السنة الثامنة للهجرة، وبعدها مر التاريخ على رمضان كثيرًا، ففيه كانت بدايات فتح الأندلس، ثم مرت أيامه المباركة لتشهد معركة عين جالوت، وغيرها الكثير حتى وصلت انتصارات رمضان إلى سيناء، يوم زلزلت الأرض تحت أقدام اليهود في حرب العاشر من رمضان.

«وربك يخلق ما يشاء ويختار»

لم يكن اختيار شهر رمضان لتقع فيه هذه الأحداث الكبيرة التي مكّن الله بها لدينه في الأرض، وبدّل من بعد عسر يسرًا، لم يكن قط اختيارًا خاليًا من الحكمة والتقدير فلقد قال تعالى: «وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ» [القمر: ٤٩]؛ وإنما كان وراء هذا الاختيار توجيه رباني للدلالة على أثر هذا الشهر الكريم في إحداث التحولات الكبرى في حياة الأمة.

إنه شهر التمكين والنصر المبين، وإذا أراد الله عز وجل شيئاً هيّأ أسبابه؛ فها نحن وبعد طول انتظار يأتينا شهر التمكين ليزور الأمة أخيراً، ويبسط رداء العبادة على أرض قد مهّدت له بفضل الله تعالى، فكيف يمكننا الاستفادة من هذه النفحة الرمضانية الربانية في سبيل تحقيق التمكين لدين الله تبارك وتعالى في الأرض؟ وما هي المخاطر التي يجب علينا أن نحذرها بل ونتخطاها؟ وما هو دورنا الأهم في هذه الأيام المعدودات؟ وكيف نجمع بين مواجهة خصوم الإسلام والرد على شبهاتهم، وبين تفريغ النفس والقلب للعبادات الرمضانية المكثفة؟ هذا ما نحاول إيجازه في النقاط التالية، فنقول وبالله تعالى التوفيق.

ليطهركم به

في زحمة الأحداث والمعارك الجدلية الساخنة يأتينا رمضان فيبرز وسط هذا الركام واحة ندية يستريح فيها المحارب بعد أن أنهكته صولات المعارك وجولاتها؛ فرمضان هذا العام ليس كمثله في سابق الأعوام، ونحن فعلاً في أشد الحاجة إلى مثل هذه النفحات الإيمانية؛ لتربط على قلوبنا ولتثبت بها الأقدام، ولنجمع ما تناثر من القوى ونشدّ ما تراخى من العزائم والهمم، نحتاجه لنخلو بأرواحنا ونطهّرها من الشبهات التي تزاحمت علينا، نحتاجه لنعتكف فيه فتصفو نفوسنا وتتصافى علاقاتنا مع بعضنا لنخرج منه صفًا واحدًا من المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بقوله: «كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ» [الصف: ٤]. وهذه أول بشارات النصر التي تجعل من هذا الشهر الكريم مفتاحا للتمكين لدين الله في الأرض.

دور أهل الحق في الأرض (وأنت فيهم)

جاء رمضان وهو فرصة كبيرة؛ حيث ينصرف أغلب الناس

عن سماع الباطل، ويقبلون على الحق إقبالاً عظيمًا، وهذا يضع على عاتق أهل الحق مسئولية كبيرة تجاه النهوض بالأمة في هذا الشهر الكريم، ولقد ظن البعض أن العمل السياسي فقط هو الأساس في هذه المرحلة فترك أهل الثغور ثغورهم، وانشغل العُبَّادُ عن عباداتهم وطلاب العلم عن معلميهم «فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ» [التوبة: ١٢٢]؛ إن لأهل الحق دورًا كبيرًا في هذه الأرض لا يقوم به غيرهم؛ إنهم يحولون بين قومهم وبين غضب ربهم؛ قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: «وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ» [الأنفال: ٣٣].

ثم إن دعاءهم وعباداتهم لها شأن عظيم عند الله تبارك وتعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم». [النسائي ٣١٧٨ وصححه الألباني] الناس يحسبونهم ضعفاء وهم على الحقيقة أقوياء؛ فصاحب الإخلاص والصلاة والدعاء هو من أقوى الناس وأفضلهم، فاستحق بذلك أن يكون سببًا لنصر الأمة كلها.

فلا تظن أنك إذا شغلت نفسك بالعبادة في هذا الشهر قد قصرت في حق بلدك أو دينك، أبدًا بل إن الجميع محتاج إلى دعائك وصلاتك ليرفع الله عنهم ما هم فيه أولاً، ثم ليقتدوا بك ويهتدوا، فكلنا على ثغر من ثغور الإسلام، قال الحسن البصري: إن الرجل ليجاهد، وما ضرب يومًا من الدهر بسيف. [تفسير ابن كثير ٣/٣٩٠].

فينبغي لنا أن نراجع مواقفنا، وأن نعود إلى ثغورنا، ولا ننشغل عن دورنا الأساس في الحياة، ونذهب وراء كل ناعق فنضيع وتختل بين أيدينا موازين القوى.

مفتاح باب التمكين إظهار شعائر الدين

إن إظهار شعائر الإسلام له قدر عظيم، وبخاصة في مثل هذه الأيام التي يراقب الناس فيها تحركات أهل الدين ويرصدونها، وإظهار العبادة أمر شرعي مقرر بالكتاب والسنة؛ ففي شأن الصدقات يقول تعالى: «إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ» [البقرة: ٢٧١].

قال ابن كثير: «إسرار الصدقة أفضل من إظهارها؛ لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة».

وقال السعدي: «فإن كان في إظهارها إظهار شعائر الدين وحصول الاقتداء ونحوه، فهو أفضل من الإسرار».

وقال في الجلالين: «أما صدقة الفرض فالأفضل إظهارها ليُقتَدى به ولئلا يُتَّهَم».

وأما الصلاة فإن كانت فريضة فهي علانية، وفي جماعة، وجهرًا بل ولها أذان وإقامة، وفضلها علانيتها في جماعة معروف مشهور، وإن كانت نافلة فالإسرار بها أفضل، ولذلك فهي في البيت أفضل منها في المسجد.

وكذلك الحج وشعائره، وعلى العموم يقول ربنا تبارك وتعالى: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ» [فصلت: ٣٣]. فعلى المسلم أن يعمل ثم يسجل كل نجاحاته باسم الإسلام فهو ناجح ليس لأنه ذكي، ولكن لأنه مسلم دينه يأمره بهذا، فيكون بذلك أحسن الناس قولاً وأعظمهم أجرًا.

ويترتب على فعله هذا آثار عظيمة فلا يُتَّهَم أهل الدين بأنهم يقولون ما لا يفعلون، وتتحول كلمة الحق إلى واقع يُحتذى «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرآنَ» [مسلم ١٧٧٣].

كي لا تكون دولة بين.. (الأتقياء).. منكم

تبسمك في وجه أخيك صدقة تذهب نار الظنون، والهدية تذهب وحر الصدر، وإفشاء السلام سلاح مضاد لأكاذيب الإعلام، والكل جند من جنود الله، فلا بد من توسيع دائرة الاهتمام، وإدخال كل محب ومتعاطف مع الدعوة داخل هذه الدائرة لتزداد كل يوم، وهكذا هو أمر الإيمان كما قال هرقل لأبي سفيان بعدما سأله عن أتباع النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنهم يزيدون، فقال: «وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم» [البخاري ٧].

عسى الله أن يأتي بالفتح

طوابير النفاق وأرتال الشبهات، موجات عالية من المثبطات وكلاليب الفتن الخطافة للقلوب الضعيفة، هذا بعض مما نواجهه، ولا نجاة إلا بأخذ الزاد الإيماني الشافي «وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ» [البقرة: ١٩٧]، ولزوم جماعة المسلمين.. - فمن شذ شذَّ في النار - واتباع سبيل المؤمنين والوقوف عند أقوال العلماء الربانيين، والعمل في سبيل الله؛ فمن لم يعمل صار معمولاً لغيره من أهل الباطل، وإن أعلن أهل الباطل الحرب على منهجك ودينك، ثم جاءوا من كل حدب ينسلون، فأعلن أنت العبادة الخالصة لله في كل أحوالك وأعمالك، كي يراك الناس فيقتدوا بك ويعلموا أن من ورائك دينًا عظيمًا متمثلاً فيك وفي أفعالك وأقوالك، أظهر شرائع الدين وشعائره، جدد النية ليصبح كل عملك خالصًا لله.. إنه إعلان العبادة لتضمن بذلك الكفاية «وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ» [النساء: ٩٠]، والحماية «فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ» [البقرة: ١٣٧]، والتأييد «وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ» [الحج: ٤٠]، أما البقية فهي يسيرة ميسرة بإذن الله، وكل الذي فوق التراب تراب.

والحمد لله رب العالمين.

من علامات الصوم المقبول

رمضان ١٤٣٢هـ

إعداد/ صلاح عبدالخالق

الحمد لله الذي كتب علينا الصيام، وجعله من أركان الإسلام، والصلاة والسلام على خير من عَبَد ربه فصلّى وصام وقام، وبعدُ:

خائف عليك

خائف عليك من أن تأتي يوم القيامة وأنت فَرِح بما قدمت من أعمال صالحة من صيام وقيام، و... فتجَد أن الله عز وجل لم يقبل عبادتك أي لا ثواب لك، وأصبح رصيدك من هذه العبادات صفرًا، وعاقبك الله تعالى على ذلك، قال الله تعالى: « وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا » [الفرقان:٢٣].

وفي تفسير القاسمي: « وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ » أي: مما كانوا يراعون به؛ ابتغاءَ السمعة والشهرة، ويرونه من مكارمهم، «فجعلناه هباءً منثورًا» أي: مثل الغبار المنثور في الجوّ، في حقارته وعدم نفعه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له مِن قيامه إلا السهر». [صحيح الجامع: ٣٤٨٨].

«رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع». قال بعض العلماء: قيل: هو الذي يفطر على حرام، أو من يفطر على لحوم الناس بالغيبة، أو من لا يحفظ جوارحه عن الآثام، «ورب قائم» أي: متهجد في الأسحار «ليس له من قيامه إلا السهر» كالصلاة في الدار المغصوبة، وأداها بغير جماعة لغير عذر، فإنها تُسقط القضاء ولا يترتب عليها الثواب. ذكره الطيبي «فيضَ القدير».

فقبل أن تصل إلى هذه الدرجة من الضياع والإفلاس والحزن والحسرة؛ لا بد أيها العاقل وأنت في الدنيا، أن تبحث عن شروط العمل الصالح المقبول، وتقوم بها؛ حتى تفرح وتسعد بالصيام وكل الأعمال الصالحة في الدنيا والآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للصائم فرحتان: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه». [البخاري: ١٩٠٤، ومسلم: ٢٧٠٠].

والفرح يوم القيامة عندما تجد أن الله عز وجل جسّد لك ثواب الصيام في صورة محام قوي الحجة يُدافع عنك أمام الملك سبحانه وتعالىً، فيقبل الله تعالى شفاعة الصيام وتدخل الجنة من باب الريان بإذن الرحمن بسلام، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان». [صحيح الترغيب: ٩٨٤].

من علامات الصوم المقبول

هيا بنا نبحث عن علامات قبول الصيام، والتي منها:



١- إخلاص العبادة لله وحده:

قال الله تعالى في سورة البينة: «وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ» [البينة:٥]، وقال تعالى في سورة الأنعام: «قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ» [الأنعام:١٦٢].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا، وابتُغِيَ به وجهُه». [صحيح الجامع: ١٨٥٦].

معنى ذلك أن كل الأعمال الصالحة مقبولة عند الله عز وجل بشرط أن تكون خالصةً له وحده لا شريك له، وما دون ذلك فهي مردودة وغير مقبولة، وقد تُدخِل صاحبها في دائرة الرياء (الشرك الخفي)، نسأل الله العافية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله: إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به، يدع الطعام من أجلي، ويدع الشراب من أجلي، ويدع لذته من أجلي، ويدع زوجته من أجلي». [البخاري: ١٨٩٤، ومسلم: ١١٥١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه». [البخاري: ١٩٠١، ومسلم: ٧٥٩].

أيها المسلم:

اجعل شعارك دائمًا قبل كل عبادة: «إيمانًا واحتسابًا» أي: يا رب هذا العمل خالصًا لوجهك الكريم، وطلبًا لثوابك فتقبَّلْه مني.

٢- تقوى الله تعالى في السر والعلن:

قال الله تعالى: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» [المائدة:٢٧].

إن الله عز وجل شَرع لنا الصوم لنتدرب ونتربى على مراقبة الله تعالى وخشيته في كل الأقوال والأفعال، والإكثار من الطاعات والبعد عن المعاصي والزلات، أي: تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك، فهذه هي خلاصة التقوى.

ولعظم التقوى ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم في أكثر من مائتين وخمسين آية. [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن].

قال الله تعالى في أول آية من آيات الصيام من سورة «البقرة»: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [البقرة:١٨٣]، وأكد الله تعالى على التقوى في آخر آيات الصيام من سورة البقرة: «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» [البقرة:١٨٧].

٣- صوم الأعضاء والجوارح عن ارتكاب المعاصي:

إذا لم يتدرب المسلم وهو صائم على ضبط جوارحه من ارتكاب المعاصي فما فائدة الصيام؟!

فمثلاً: العين لا تنظر إلى الحرام، وكذلك البطن، والفرْج، كل الأعضاء تجتهد حتى لا تقع في الحرام وتبتعد عن كل معصية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» [البخاري ١٩٠٣]. المراد بقول «الزور»: الكذب، والعمل به: أي بمقتضاه.

قال ابن المنيّر في الحاشية: بل هو كناية عن عدم القبول كما يقول المغضب لمن رد عليه شيئًا طلبه منه فلم يقم به: لا حاجة لي بكذا، فالمراد رد الصوم المتلبس بالزور وقبول السالم منه، وقريب من هذا قوله تعالى: «لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ» [الحج:٣٧]، فإن معناه: لن يصيب رضاه الذي ينشأ عنه القبول.

وقال ابن العربي: مقتضى هذا الحديث أن من فعل ما ذُكر لا يُثاب على صيامه، ومعناه: أن ثواب الصيام لا يقوم في الموازنة بإثم الزور وما ذكر معه.

كل الأعمال الصالحة مقبولة عند الله عز وجل بشرط أن تكون خالصةً له وحده لا شريك له، وما دون ذلك فهي مردودة وغير مقبولة، وقد تُدخل صاحبها في دائرة الرياء (الشرك الخفي)، نسأل الله العافية

وقال البيضاوي: ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش، بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة، فإذا لم يحصل ذلك لا ينظر الله إليه نظر القبول، فقوله: «ليس لله حاجة» مجاز عن عدم القبول، فنفى السبب وأراد المسبب، والله أعلم. [فتح الباري: ٤/١٤٠].

وإياك أن تظن أن الصيام هو تجويع البطن عن الطعام والفرج عن الشهوة، هذا خطأ، والصواب أن الصوم المقبول: ضبط الجوارح مع الله تعالى ومع الناس.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابّك أحد أو جهل عليك، فقل: إني صائم، إني صائم». [صحيح الجامع: ١٠٨٢].

٤- الدعاء بقبول العبادات:

شهر رمضان شهر إجابة الدعاء كما بشّرنا الله عز وجل، حيث قال: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» [البقرة:١٨٥].

وبشرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن شهر رمضان شهر إجابة الدعاء، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة - يعني في رمضان - وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة». [صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٠٢].

ماذا تريد بعد ذلك؟! فعليك أن تكثر من الدعاء وأنت صائم، بل في جميع أوقاتك، وخاصة بالأدعية الجامعة والتي منها هذا الدعاء الجامع من سورة الأحقاف: «حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ» [الأحقاف:١٥].

وقد سأل قتادة أنسًا رضي الله عنه: أي دعوة كان يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم أكثر؟ قال: كان أكثر دعوة يدعو بها يقول: اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار. [البخاري: ٤٥٢٢، ومسلم: ٢٦٩٠].

فهذه الدعوة جمعت ما تحبه وتتمناه في الدنيا والآخرة.

وكان السلف الصالح يدعون الله سبحانه وتعالى ستة أشهر أن يبلّغهم شهر رمضان، ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم. [لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي: ص٢٩٨].

معنى ذلك أن السلف الصالح لا ينسون رمضان طوال العالم، وذلك بدعاء الملك العلام بقبول الصيام وكل الأعمال الصالحة.

٥- المداومة على العمل الصالح بعد رمضان:

شهر رمضان شهر الصيام والقيام وقراءة القرآن وصلة الأرحام، هذه الأعمال الصالحة أصبحت حجةً عليك، فمن علامة قبولها المداومة على هذه الطاعات بعد شهر رمضان، يقول ابن رجب رحمه الله تعالى: من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها، فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى، وعلامة ردها أن يُعقِب تلك الطاعة بمعصية، ما أحسن الحسنة بعد السيئة تمحوها، وأقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها وتعفوها.

إن معاودة الصيام بعد رمضان علامةٌ على قبول صوم رمضان، فإن الله إذا تقبل عمل عبدٍ وفّقه لعمل صالح بعده.

سلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات، وتعوذوا به من تقلب القلوب، وما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة. [لطائف المعارف: ص٣١٦].

نسأل الله القبول والثبات إلى الممات.

لا بد أيها العاقل وأنت في الدنيا، أن تبحث عن شروط العمل الصالح المقبول، وتقوم بها؛ حتى تفرح وتسعد بالصيام وكل الأعمال الصالحة في الدنيا والآخرة

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (١٣١)

قصة أبي موسى والصيام في الصيف

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية حتى يقف القارئ الكريم على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، خاصة عندما يأتي شهر رمضان في الصيف ويشتد الحر، هذا وقد سبق أن بيَّنا في هذا الباب من القصص الواهية: قصة صيام المراتين، وقصة الرجل الذي صام سنة ليتحمل قصة الحديث الذي جمع فاوعى، وقصة الترخيص في السحور حتى مطلع الشمس، وقصة الملائكة في شهر رمضان مع أمة محمد، وقصة حفل استقبال رمضان.

وإن تعجب فعجب أن هذه القصص الواهية تنتشر على ألسنة القصاص والوعاظ في الخطب والمحاضرات والفضائيات والصحف في شهر رمضان.

وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة الواهية:

قصة أبي موسى والصيام في الصيف

أولا: متن القصة:

رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا موسى في سرية في البحر، فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة، إذا هاتف من فوقهم يهتف: يا أهل السفينة، قفوا أخبركم بقضاء الله على نفسه. قال أبو موسى: أخبرنا إن كنت مخبرًا، قال: إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف، سقاه الله يوم العطش.

ثانيًا: التخريج:

هذا الخبر الذي جاءت به القصة أخرجه البزار في «مسنده» (١/٤٨٨/١٠٣٩- موارد) قال: حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي، حدثنا موسى بن داود داود، حدثنا عبد الله بن المؤمل عن عطاء عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا موسى في سرية في البحر... القصة.

وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٨) أخبرناه معاوية بن العباس في حمص قال: حدثنا علي بن زيد قال حدثنا موسى بن داود قال عبد الله بن المؤمل.

ثالثًا: التحقيق:

١- قال البزار في مسنده (١/٤٨٨/١٠٩٣ - موارد): «لا نعلمه عن ابن عباس إلا من هذا الوجه، وروي عن أبي موسى قوله وفيه زيادة كلام من قول أبي موسى». اهـ.

قلت: والخبر باطل حتى ولو بالزيادة، وعلته: عبد الله بن المؤمَّل.

٢- قال الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١٠/٥٧٠/٣٥٨٢): عبد الله بن المؤمل بن وهب الله القرشي المخزومي العائدي: روى عن عطاء بن أبي رباح.. ، وروى عنه موسى بن داود الضبي، ثم نقل عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه قال: أحاديثه مناكير، وقال أبو داود: منكر الحديث.

٣- قلت: وأقر هذه الأقوال الحافظ ابن حجر في

«تهذيب التهذيب» (٦/٤٢).

قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/٥١٠/٤٦٣٧): عبد الله بن المؤمل المخزومي المكي عن عطاء وغيره، ضعفوه، فمن طريقين عن يحيى بن معين ضعيف، وقال أحمد بن أبي مريم عن يحيى: عامة حديثه منكر.

٥- في «سؤالات الدارمي» (٤٧٦) قال عثمان بن سعيد الدارمي: سألت أبا زكريا يحيى بن معين عن عبد الله بن المؤمَّل؟ فقال: «ضعيف».

٦- وقال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/٣٠٢/٨٧٩): «عبد الله بن المؤمل المخزومي مكي لا يُتابع على كثير من حديثه».

وقال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: سمعت أبي يقول: أحاديث عبد الله بن المؤمل مناكير.

٧- وقال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٣٣١): «عبد الله بن المؤمل المكي: ضعيف».

٨- قال ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٧): عبد الله بن المؤمل المخزومي شيخ من أهل مكة، كان قليل الحديث منكر الرواية، وأخرج هذه القصة وجعلها من مناكيره.

٩- وأورده الإمام ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٤/١٣٥) (٧/٩٧٤) قال: «عبد الله بن المؤمل مكي مخزومي»، وأخرج قول الإمام أحمد بن حنبل فيه قال: حدثنا ابن حماد، حدثنا عبد الله بن أحمد عن أبيه قال: «أحاديث عبد الله بن المؤمل مناكير». اهـ.

قلت: وتخريج قول علماء الجرح والتعديل يحسبه من لا دراية له بالصناعة الحديثية أمرًا هينًا، ولكنه عند علماء الفن عظيم، وحتى لا يتقول علينا متقول ويقول: أين قال هذا أحمد أو غيره من أئمة الجرح والتعديل؟

ثم أخرج الإمام ابن عدي عددًا من الأحاديث المنكرة لعبد الله بن المؤمل، هذا ليعلم الطاعنون من المستشرقين وغيرهم أنهم يجهلون مناهج المحدثين من علماء الجرح والتعديل التي تناولت المتن قبل السند، ولذلك قال الإمام ابن عدي بعد تخريج هذه المناكير لابن المؤمل قال: «هذا مع ما بليت من أحاديث ابن المؤمل فكلها غير محفوظة». اهـ.

ثم أورد قصة صفية بنت شيبة في سعي الرسول صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة ومئزره يدور بين شدة السعي».

ثم قال: «وهذا يرويه عبد الله بن المؤمل وبه يُعرف، ولابن المؤمل هذا غير ما ذكرت من الحديث وعامة ما يرويه الضعف عليه بيِّن». اهـ.

رابعًا: تراجع الألباني بعد تقليده للمنذري، رحمهما الله:

١- هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة «قصة أبي موسى والصيام في الصيف» أوردها الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/٤٨٤) وقال في نهايتها: «رواه البزار بإسناد حسن إن شاء الله».

٢- قال الشيخ الألباني رحمه في «ضعيف الترغيب والترهيب» (ح٥٧٧): فيه (عبد الله بن المؤمل) وهو ضعيف الحديث كما قال الحافظ ابن حجر، وضعفه جدًا في «زوائد البزار»، وهو مخرج في «الضعيفة» (٦٧٤٨)، ثم يقول الألباني: «وقد كنت حسنته تبعًا للمؤلف في الطبعة السابقة، فلما طبع «كشف الأستار» ووقفت على إسناده، تراجعت عنه، وأما الجهلة فظلوا على تقليده». اهـ.

قلت: وتراجع الشيخ الألباني رحمه الله، وبُعده عن التقليد لم ينقص من مكانته في هذه الصنعة، بل رفعه بالإجماع الذي أورده الإمام ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/٦) قال: «قال أبو عمر وغيره من العلماء: أجمع الناس على أن المقلد ليس معدودًا من أهل العلم، وأن العلم معرفة الحق بدليله». اهـ.

قال الإمام ابن القيم: «وهذا كما قال أبو عمر رحمه الله تعالى، فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأما بدون الدليل فإنما هو التقليد». اهـ.

قلت: ولقد بينا أن القصة واهية منكرة بالدليل الذي ذكرناه آنفًا في تحقيق الخبر وبيان علته.

خامسًا: طريق آخر للقصة:

يظن من لا دراية له بأصول الصناعة الحديثية أن الخبر إذا جاء من طريق آخر عضَّد بعضه بعضًا وصار حسنًا، وأكثر القصاص والوعاظ يبررون بهذا الظن الحكايات التي يستميلون بها العوام.

وهناك قاعدة نذكر بها القراء الكرام عامة، وطالب هذا الفن خاصة، نقلها الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص٢٣).

قال الشيخ أبو عمرو: «لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا؛ لأن الضعف يتفاوت، فمنه ما لا يزول بالمتابعات، يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

قلت: لذلك قال الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» (ص١٠٧ - ط. دار الكتب): «ومن ذلك ضعف لا يزول لقوة الضعف، وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته، وذلك كالضعف الذي ينشأ من كون الراوي متهمًا بالكذب أو كون الحديث شاذًا، وهذه جملة تفاصيلها تدرك بالمباشرة والبحث، فاعلم ذلك فإنه من النفائس العزيزة». اهـ.

قلت: إي والله هذا هو الحق، فهذه الصنعة لا تُدرك بمجرد حفظ الطالب لنَظْم أو مختصر، ولكن تُدرك بالمباشرة والبحث، وهو ما يسمى بعلم الحديث التطبيقي، وإلى القارئ الكريم التطبيق بتحقيق هذا الطريق:

سادسًا: متن الطريق الآخر:

يُرْوى عن أبي موسى رضي الله عنه قال: خرجنا غازين في البحر، بينما نحن والريح لنا طيبة والشراع لنا مرفوع، فسمعنا مناديًا ينادي: يا أهل السفينة قفوا أخبركم - حتى والى بين سبعة أصوات - قال أبو موسى: فقمت على صدر السفينة فقلت: من أنت؟

ومن أين أنت؟
أو ما ترى أين نحن؟ وهل نستطيع وقوفًا؟
قال: فأجابني الصوت: ألا أخبركم بقضاءٍ قضاه الله عز وجل على نفسه؟
قال: قلت: بلى، أخبرنا.
قال: فإن الله تعالى قضى على نفسه أنه من عطش نفسه لله عز وجل في يوم حار كان حقًّا على الله أن يُرْويه يوم القيامة.
قال: فكان أبو موسى يتوخى ذلك اليوم الشديد الحر الذي يكاد ينسلخ فيه الإنسان فيصومه». اهـ.

سابعًا: تخريج الطريق:

القصة من هذا الطريق أخرجها أبو نعيم في «الحلية» (١/٢٦٠) قال: حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا عمر بن حفص السدوسي، حدثنا عاصم بن علي، حدثنا مهدي بن ميمون، عن واصل مولى أبي عيينة عن لقيط عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «خرجنا غازين في البحر». القصة.

وكذلك أخرج هذا الطريق البيهقي في «الشعب» (٦/٤١٢/٣٦٣٦) قال: أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حامد المقرئ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا بكار بن قتيبة، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا هشام عن واصل مولى أبي عيينة عن لقيط به.

ثامنًا: التحقيق لهذا الطريق:

هذا الطريق الذي جاءت به القصة تالف علته (لقيط).

١- قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/١/٢٤٨) (ت١٠٦٠): «لقيط أبو المغيرة عن أبي بردة بن أبي موسى، روى عنه واصل مولى أبي عيينة». اهـ.

٢- قال الإمام أبو محمد عبد الرحمن ابن الإمام الكبير أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/٢/١٧٧) (ت١٠١٣): «لقيطا أبو المغيرة روى عن أبي بردة بن أبي موسى روى عنه واصل مولى أبي عيينة سمعت أبي يقول ذلك». اهـ.

قلت: من قول جبل الحفظ الإمام البخاري، وقول الإمام أبي حاتم يتبين أن (لقيط أبا المغيرة) لم يرو عنه إلا راوٍ واحد هو واصل مولى أبي عيينة.
وبهذا يكون لقيط أبو المغيرة (مجهول العين).

٣- قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص١٣٥): «فإن سُمِّي الراوي وانفرد راوٍ واحد بالرواية عنه فهو مجهول العين». اهـ.

قلت: وحكم رواية مجهول العين: «عدم القبول إلا إذا وُثِّق».
وكيفية التوثيق أنه يوثق بأحد أمرين:
أ- إما أن يوثقه غير من روى عنه.
ب- وإما أن يوثقه من روى عنه بشرط أن يكون من أهل الجرح والتعديل.

٤- قال الحافظ في «شرح النخبة» (ص١٣٥): «مجهول العين لا يُقبل حديثه إلا أَنْ يوثقه غير من ينفرد عنه على الأصح، وكذا من ينفرد عنه إذا كان متأهلاً لذلك». اهـ.

قلت: ولقد تبين من جهابذة هذه الصنعة أن لقيطًا أبا المغيرة لم يرو عنه إلا راوٍ واحد ولم يوثقه، فروايته مردودة غير مقبولة.

كذلك لا يصلح مجهول العين للمتابعات والشواهد، فهو في مراتب الرد والترك، وروايته تزيد القصة وهنًا على وهن، ومجهول العين لا يُعتبر به كما بيَّن ذلك الحافظ في «شرح النخبة» (ص١٣٩).

قال الحافظ في «لسان الميزان» (٤/٥٨٣) (٦/٦٧٧٣): «لقيط عن أبي بردة في صوم الصيف ذكره الأزدي في الضعفاء وقال: لا يصح حديثه».

قلت: من تحقيق الطريقين للقصة يتبين:

١- أن الطريق الأول للقصة: يُرْوَى عن ابن عباس، وعلته عبد الله بن المؤمل، وهو منكر الحديث، أحاديثه غير محفوظة لا يُتابع عليها، فهي لا تصلح للمتابعات أو الشواهد؛ لذلك قال الحافظ ابن حجر في «مختصر الزوائد» (١/٤٠٤): عبد الله بن المؤمل ضعيف جدًّا.

٢- الطريق الثاني للقصة: يُرْوى عن أبي موسى وعلته لقيط أبو المغيرة مجهول العين لا يصلح للمتابعات أو الشواهد، بل يزيد القصة وهنًا على وهن كما بيَّنا آنفًا.

وبهذا تصبح القصة واهية منكرة.

تاسعًا: بدائل صحيحة:

هناك بدائل صحيحة في أعلى درجات الصحة تغني عن هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ لاستمالة العوام ولم يخافوا من الوعيد الشديد، فقد أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (ح١٠٩) قال: حدثنا مكي بن إبراهيم قال: حدثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار». قلت: ألم يغْنِ عن هذه القصة الواهية الحديث المتفق عليه من حديث سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صام يومًا في سبيل الله، بعَّد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا».

قلت: ولقد خرجناه في سلسلة «درر البحار من صحيح الأحاديث القصار» (ح٢٥٣).

وهناك العديد من الأحاديث الصحيحة في باب الصيام في هذه السلسلة المباركة على سبيل المثال لا الحصر من (ح٢٣٧) حتى (ح٢٥٥)، ومن (ح٥٠٣) حتى (ح٥٩٥)، ومن (ح٩٤٢) حتى (ح٩٤٧).

هـذا فقط بالنسبة للألف الأولى مـن درر البحـار، ونحن الآن بفضل الله وحده في الألف الثالثة مرتبة على درجات الصحة، وإن شاء الله سنقوم بترتيب هذه السلسلة على الأبواب الفقهية، بذكر أرقام الأحاديث لتعم الفائدة من علم الحديث دراية وعلم الحديث رواية.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

ما يُستحب في رمضان

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله الذي فتح لنا أبواب الطاعات، ويسرها لنا، ودلنا عليها، وأصلي وأسلم على خير خلقه، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فإن الله عز وجل جعل لنا من الأعمال الفاضلة والطاعات المتتالية ما تقرّ به الأنفس، وتهنأ به الصدور، ويتسابق فيه المتسابقون؛ طمعًا في رضوان الله ورحمته، ورجاء جنته وخوف عقابه، ومن أجمع الأوقات لهذه الأعمال شهر رمضان، وقد جمع فيه رب العالمين سبحانه من الأعمال ما تفرق في غيره، ومن الأعمال التي يُستحب للعبد فعلها في رمضان:

١- يُستحب للصائم تأخير السحور وذلك قبل الفجر:

فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسحور وأبان الحكمة في ذلك؛ كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تسحروا، فإن في السحور بركة» [متفق عليه]، وسَحور بفتح السين؛ ما يُتسحر به وبضمها الفعل، والبركة مضافة إلى كل من الفعل وما يتسحر به جميعًا.

فيأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتسحر، الذي هو الأكل والشرب وقت السحر، استعدادًا للصيام، ويذكر الحكمة الإلهية فيه، وهي حلول البركة، والبركة تشمل منافع الدنيا والآخرة.

فمن بركة السحور؛ ما يحصل به من الإعانة على طاعة الله تعالى في النهار، فإن الجائع والظامئ يكسل عن العبادة.

ومن بركة السحور أن الصائم إذا تسحر لا يمل إعادة الصيام، خلافًا لمن لم يتسحر فإنه يجد حرجًا ومشقة يثقلان عليه العودة إليه.

ومن بركة السحور: الثواب الحاصل من متابعة النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن بركته أيضًا: أن المتسحر يقوم في آخر الليل فيذكر الله تعالى، ويستغفره ثم يصلي صلاة الفجر جماعة، بخلاف من لم يتسحر. وهذا مشاهد.

فإن عدد المصلين في صلاة الصبح مع الجماعة في رمضان أكثر من غيره من أجل السحور.

ومن بركة السحور أنه عبادة، إذا نوى به الاستعانة على طاعة الله تعالى، والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم، ولله في شرعه حكم وأسرار.

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فَصْلُ ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السَّحَر». [مسلم ١٠٩٦].

ويتحقق السحور ولو بجرعة ماء؛ لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تسحروا ولو بجرعة من ماء». [رواه ابن حبان بسند حسن وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١٠٧١].

والأفضل أن يجعل في سحوره تمرًا؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نعم سحور المؤمن التمر». [رواه أبو داود ٢٣٤٥ وصححه الألباني].

ويستحب تأخير السحور إلى آخر الليل وهذا

إجماع، فعن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن نبي الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت رضي الله عنه تسحَّرا، فلما فرغا من سَحُورهما قام نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة فصلى».

قلنا لأنس: كم كان بين فراغهما من سحورهما ودخولهما في الصلاة؟ قال: «كقدر ما يقرأ الرجل خمسين آية». [متفق عليه].

ولأن المقصود بالسحور التقوِّي على الصوم، وما كان أقرب إلى الفجر كان أعون على الصوم، وأما الجماع فلا يستحب تأخيره؛ لأنه ليس مما يتقوى به، وفيه خطر وجوب الكفارة، وحصول الفطر به.

٢- ويستحب تعجيل الفطر بعد الغروب، وهذا إجماع؛ لحديث سَهْل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزالُ الناسُ بخير ما عجلوا الفطر». [متفق عليه].

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وهو صائم، فلما غربت الشمس قال لبعض القوم: «يا فلان، قم فاجدح لنا». فقال: يا رسول الله، لو أمسيت، قال: «انزل فاجدح لنا». قال: يا رسول الله، فلو أمسيت. قال: «انزل فاجدح لنا». قال: إن عليك نهارًا. قال: «انزل فاجدح لنا». فنزل فجدح لهم، فشرب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «إذا رأيتم الليل قد أقبل من هاهنا فقد أفطر الصائم». [البخاري ٤٩٩١]. والجَدْح: أن يُحَرك السَّويق بالماء حتى يستوي.

ويستحب أن يفطر على تمر وإلا فعلى ماء؛ لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات، فإن لم تكن حَسَا حسواتٍ من ماء. [أبو داود ٢٣٥٦ وصححه الألباني].

٣- ويستحب أن يدعو عند الإفطار:

لقوله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا تُرد دعوتهم..» وذكر منهم: «الصائم حتى يُفطر». [رواه الترمذي وصححه الألباني].

ويستحب أن يدعو بما ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال: «ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله». [رواه أبو داود ٢٣٥٧ وحسنه الألباني].

٤- ويستحب للصائم في رمضان أن يجود بالخير:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاهُ جبريل فيدارسُه القرآن، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة. [متفق عليه] وأخرجه الإمام أحمد بزيادة في آخره، وهي: «لا يُسأل عن شيء إلا أعطاه». والجودُ هو سعةُ العطاء وكثرته، والله تعالى يوصف بالجود ولما كان الله عز وجل قد جبل نبيه صلى الله عليه وسلم على أكمل الأخلاق وأشرفها، كما في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق» [مسند أحمد وصححه الألباني في الصحيحة ٤٥].

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس كلهم، وكان جوده بجميع أنواع الجود، من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق، من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم.

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأشجع الناس وأجود الناس» [متفق عليه]. وفي صحيح مسلم عنه قال: «ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمدًا يعطي عطاءً من لا يخشى الفاقة». [مسلم ٢٣١٢] وقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يُمسي حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها.

وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده فيعطي عطاءً يعجزُ عنه الملوك مثل كسرى وقيصر ويعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقدُ في بيته نار وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع، وكان جوده صلى الله عليه وسلم يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور، كما أن جُود ربه يتضاعف فيه أيضًا، فإن الله جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة، وكان على ذلك من قبل البعثة.

٥- ويستحب الإكثار من تلاوة القرآن الكريم:

وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن، كما قال تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» [البقرة:١٨٥]، وكان عمر قد أمر أُبَيَّ بْنَ كَعْب وتميمًا الداري أن يقوما بالناس في شهر رمضان، فكان القارئ يقرأ بالمائتين في ركعة، حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام. قال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان نفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف. وقال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على تلاوة القرآن، وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ في المصحف أول النهار في شهر

رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت.

قال ابن رجب الحنبلي في «لطائف المعارف»: وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصًا الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر أو في الأماكن المفضلة، كمكة شرفها الله لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتنامًا للزمان».

٦- ويستحب للصائم الجمع بين الأعمال الصالحة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أصبح فيكم اليوم صائمًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: من تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن أطعم اليوم مسكينًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: من تصدق بصدقة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم مريضًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» [مسلم ١٠٢٨].

والجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا واتقاء جهنم والمباعدة عنها، وخصوصًا إن ضم إلى ذلك قيام الليل، فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الصيامُ جنة». [رواه النسائي، وهو صحيح، وهو قطعة من حديث أخرجه البخاري].

وفي حديث معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقيام الرجل من جوف الليل». يعني أنه يطفئ الخطيئة أيضًا. [ابن ماجه ٣٩٧٣ وصححه الألباني]. وروى البخاري عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» [البخاري ١٤١٧].

٧- ويستحب للصائم في رمضان قيام ليله:

قال صلى الله عليه وسلم: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه». وقال صلى الله عليه وسلم: «من قام مع الإمام حتى ينصرف كُتب له قيام ليلة». [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني].

ويستحب له الاجتهاد في قيام ليالي رمضان كلها ليدرك ليلة القدر، ففي الصحيحين عن أبي هريرة عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» [متفق عليه].

قال ابن رجب: المعول على القبول لا على الاجتهاد، والاعتبار بما في القلوب لا بعمل الأبدان. رُبَّ قائم حظه من قيامه السهر، كم من قائم محروم، ومن نائم مرحوم هذا نام وقلبه ذاكر، وهذا قام وقلبُه فاجر.

لكن العبد مأمور بالسعي في اكتساب الخيرات والاجتهاد في الأعمال الصالحات، وكل مُيَسَّر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى» [الليل:٥- ١٠].

٨- ويستحب للصائم في رمضان الاعتكاف:

فعن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين» [البخاري ٢٠٤٤]. وإنما كان يعتكف النبي صلى الله عليه وسلم في هذه العشر يطلب فيها ليلة القدر.

والاعتكاف مشروع مستحب باتفاق أهل العلم، وقد حافظ صلى الله عليه وسلم على الاعتكاف في العشر الأواخر كما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها المتقدم.

والاعتكاف فرصة عظيمة لتربية النفس، وجهاد الهوى والبعد عن الشواغل والصوارف، وكثرة المطاعم والمآكل والتفرغ لقراءة القرآن والذكر وقيام الليل.

٩- ويستحب في رمضان أداء العمرة للمستطيع:

فمن الأعمال المستحبة في رمضان أداء العمرة ورتب لمن قام بها فضلاً عظيمًا؛ لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «العُمرة إلى العُمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» [متفق عليه].

وفي رمضان يتضاعف هذا الفضل العظيم والأجر الجزيل، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من حجة الوداع قال لامرأة من الأنصار اسمها أم سنان: «ما منعك أن تحجي معنا؟» قالت: أبو فلان - زوجها - له ناضحان، حج على أحدهما، والآخر نسقي عليه، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عمرة فيه تعدل حجة». أو قال: «حجة معي». [مسلم ١٢٥٦].

والأعمال المستحبة في رمضان كثيرة ليست محصورة فيما ذكرت، ولكن هذا ما تيسر لي جمعه من كلام أهل العلم، والله أسأل أن يوفقنا إلى طاعته ومرضاته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الرخص الشرعية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداه إلى يوم الدين، أما بعدُ:

فقد فرض الله الصيام على المؤمنين، وجعله في الإسلام ركنًا ركينًا، وخص به رمضان من سائر شهور السنة؛ ولأن الله بالناس رءوف رحيم، فقد رخص بالإفطار لكل ذي عذر مبين، وأسقط الإثم على من أفطر وكان من الناسين أو الجاهلين أو المكرهين، وللكلام عن رخص الصيام نقول، وبالله تعالى نستعين:

أولاً: تعريف الرخص لغة وشرعًا:

تعريف الرخص لغة: جمع رخصة، وهي التيسير والتسهيل، ومنه رخص السعر إذا تيسر وسهل، كما تطلق على الحظ والنوبة في السقي بالماء، فيقال: أخذ رخصته من الماء أي حظه ونصيبه، وتجمع أيضا على «رخصات».

تعريف الرخصة شرعًا:

عرفها الإسنوي في نهاية السول شرح منهاج الأصول بأنها الحكم الثابت على خلاف الدليل لعذر، ومثال ذلك أكل الميتة للمضطر ثابت على خلاف الدليل الذي حرّم أكل الميتة، قال الله تعالى: «قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً» [الأنعام:١٤٥]، وقال: «فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ» [البقرة:١٧٣].

ثانيًا: أدلة مشروعية الرخص:

بيّن العلماء أن جميع رخص الشرع في العبادات والمعاملات تتخرج على قاعدة المشقة تجلب التيسير، ومن ثَمَّ فإن أدلة هذه القاعدة هي ذاتها أدلة مشروعية الرخص، وقد استدلوا عليها بالقرآن والسنة، وفعل الصحابة والإجماع.

الأدلة من القرآن:

قال الله تعالى: «يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ» [البقرة:١٨٥]، وقال: «لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ» [البقرة:٢٨٦]، وقال: «مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ» [المائدة:٦].

الأدلة من السنة:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة». [رواه البخاري ٣٩].

٢- لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما قال لهما: «يسّرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا». [رواه البخاري ٣٠٣٨].

٣- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا ولكن بعثني معلمًا ميسرًا». [رواه مسلم ١٤٧٨].

الإجماع:

أجمعت الأمة على أن التكليف الشاق لم يقع في التشريع، وهو يدل على عدم قصد الشارع إليه، ولو كان الشارع قاصدًا للمشقة في التكليف لما كان هناك ترخيصٌ ولا تخفيفٌ.

ثالثا: أقسام الرخص الشرعية عند الفقهاء:

الرخص الشرعية عند الفقهاء خمسة أنواع وهي:

١- رخص يجب فعلها على المكلف؛ كأكل الميتة للمضطر.

٢- رخص يندب فعلها؛ كالقصر في السفر.

٣- رخص يباح فعلها؛ كالسلم في المعاملات.

٤- رخص الأولى للمكلف تركها؛ مثل الجمع بين الصلوات للمسافر النازل، لا المرتحل.

٥- رخص يكره فعلها، مثل القصر في أقل من ثلاث مراحل عند بعض الفقهاء.

رابعًا: أسباب التخفيف والتيسير المجوّزة للرخص الشرعية المتعلقة بالصيام:

السبب الأول: السفر:

فقد رخص الله سبحانه وتعالى للمسافر الفطر في رمضان:

١- الدليل على ذلك: قال الله تعالى: «يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ» [البقرة:١٨٥].

وعن أنس بن مالك رجل من بني عبد بن كعب رضي الله عنه: أغارت علينا خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يتغدى فقال: ادن فكل، فقلت: إني صائم، فقال: ادن أحدثك عن الصوم أو الصيام، إن الله تعالى وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة». [رواه الترمذي وقال الألباني: حسن صحيح].

فائدة: أنس هذا غير أنس بن مالك خادم رسول الله المشهور. قال أبو القاسم البغوي: ولا أعلم روى غير حديث الصوم هذا.

وعن عائشة رضي الله عنها أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «أأصوم في السفر؟» وكان كثير الصيام، فقال: إن شئت فصم وإن

المتعلقة بالصيام

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

شئت فافطر. [متفق عليه].

حكم الفطر لمن كان سفره دائمًا

كالسائق المسافر من بلد إلى بلد، فهذا يفطر ولو كان سفره مستمرًا؛ لأنه لا وطن له يأوي إليه، ويجوز له الصيام في الشتاء، أو إذا عاد إلى بلده.

الواجب على من أفطر بعذر السفر:

يجب عليه قضاء ما أفطره؛ لقوله تعالى: «فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» [البقرة:١٨٤]، ولا فدية عليه، فإذا قدم المسافر في أثناء يوم قد ترخص فيه وأفطر فيستحب له الإمساك بقية اليوم ولا يجب؛ لأنه أفطر بعذر، وقد أبيح له الفطر من أول النهار ظاهرًا وباطنًا، فجاز له الإفطار في بقية النهار، كما لو دام السفر، فإذا قدم في أثناء نهار رمضان وهو مفطر، فوجد امرأته قد طهرت أثناء النهار من حيض أو نفاس أو برأت من مرض وهي مفطرة، فله أن يطأها ولا كفارة عليه، لأنهما مفطران فأشبها المسافرين والمريضين.

السبب الثاني: المرض:

تعريفه: عرفه السيوطي في الأشباه والنظائر بأنه «خروج بدن العبد المكلف عن حد الاعتدال إلى حد الضعف الذي يطرأ على الجسم فيؤثر عليه بالعجز عن القيام بأداء الواجب الشرعي كما طلب عزيمة». اهـ.

دليله: قوله تعالى: «وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» [البقرة:١٨٥].

أحكام الفطر في المرض:

قال ابن العثيمين رحمه الله في شرح رياض الصالحين: والمرض ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المريض مرضًا لا يرجى برؤه، بل هو مستمر، فهذا لا صيام عليه، ولكن عليه أن يطعم عن كل يوم مسكينًا؛ لأنه من جنس الكبير العاجز عن الصوم الذي لا يُرجى زوال عجزه.

القسم الثاني: المريض مرضًا يضره الصوم: ويخشى عليه أن يهلك به، كمريض لا يستطيع الاستغناء عن الماء مثل بعض أنواع المرض السكري وغير ذلك، فهذا يحرم عليه الصوم؛ لقوله تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» [النساء:٢٩].

القسم الثالث: مرض يشق معه الصوم لكن لا ضرر فيه: والأفضل أن يفطر ولا يصوم، ويقضي بعد ذلك، وأما المرض الذي لا يتأثر به الصيام، كمرض العين اليسير ومرض السن، وما أشبه ذلك، فإنه لا يجوز فيه الفطر؛ لأن الحكمة من الرخصة هي إزالة المشقة، وهذا لا مشقة عليه إطلاقًا، فلا يحل له الفطر، والأصل وجوب الصوم في وقته إلا بدليل بيّن واضح يبيح للإنسان أن يفطر ثم يقضي بعد ذلك. اهـ.

الواجب على من أفطر بعذر المرض:

إن كان مريضًا مرضًا لا يرجى برؤه أي لا يرجى زواله مثل مريض الفشل الكلوي أو فيرس سي، فهذا يُفطر وعليه الفدية، وهي إطعام مسكين عن كل يوم مدًا من طعام، أي ربع صاع من قمح أو أرز ونحوهما (حوالي نصف كيلو أو يزيد قليلاً، والأفضل أن يطعم الواجد مسكينًا من أوسط ما يطعم أهله؛ قياسًا على كفارة اليمين المذكورة في القرآن، وهذا الأنفع للفقير الآن، قال البخاري في صحيحه، وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام فقد أطعم أنس بعدما كبر عامًا أو عامين كل يوم مسكينًا خبزًا ولحمًا، وأفطر.

أما إن كان مريضًا مرضًا يرجى برؤه، ولكن يشق معه الصوم فله الفطر وعليه القضاء بعد ذلك، فإذا برئ المريض وهو مفطر فيستحب له الإمساك بقية يومه ولا يجب، ولا يجوز تعجيل الفدية قبل دخول رمضان، ويجوز عند طلوع فجر كل يوم، وقبله أيضًا.

السبب الثالث: النسيان:

تعريفه: هو عدم استحضار الشيء في ذهن المكلف وقت الحاجة.

حكم من أفطر ناسيًا:

إذا أكل الصائم، أو شرب، أو جامع، أو فعل ما ينافي الصوم ناسيًا؛ لم يفطر.

دليله: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». [رواه ابن ماجه وصححه الألباني].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه». [متفق عليه].

ولا خلاف بين أهل العلم في أن معنى الحديث أن الله عز وجل رفع الإثم المترتب على الخطأ أو النسيان أو الإكراه، كما أنهم اختلفوا في مسألة جماع الناسي، والراجح أنه لا يفطر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: والمجامع الناسي فيه ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره: أحدها: لا قضاء عليه ولا كفارة، وهو قول الشافعي وأبي حنيفة والأكثرين، والثانية: عليه القضاء بلا كفارة وهو قول مالك، والثالثة: عليه الأمران وهو المشهور عن أحمد، والأول أظهر. اهـ.

السبب الرابع: الجهل:

تعريفه: هو فعل الشيء على غير حقيقته اعتقادًا من المكلف أنه على حقيقته الشرعية.

حكم من أفطر جاهلاً:

إذا أكل الصائم أو شرب أو جامع جاهلاً بتحريم ذلك فإننا نفرق بين حالتين:

الأولى: إن كان قريب عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة: بحيث يخفى عليه كون هذا مفطرًا: لم يفطر قياسًا على الناسي.

الثاني: إن كان مخالطًا للمسلمين بحيث لا يخفى عليه تحريمه أفطر؛ لأنه مقصر.

قال السيوطي في الأشباه والنظائر: كل من جهل تحريم شيء مما يشترك فيه غالب الناس لم يقبل منه هذا الجهل في رفع الإثم عنه، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة يخفى فيها مثل ذلك، وهو معرفة الحلال من الحرام كتحريم الزنا والقتل والسرقة والخمر. اهـ.

السبب الخامس: الإكراه:

تعريفه: هو حمل الغير للمكلف على ما لا يختار ولا يرضاه من قول أو فعل بحيث لو خلي بينه وبين نفسه لم يفعله.

حكم من أفطر مكرهًا:

فإذا أكره إنسان آخر على الطعام والشراب أو الجماع بأن أدخل الطعام في فمه أو أسقط الماء وغيره في أنفه فنزل إلى جوفه أو ربطت المرأة وجُومعت، أو هدده وأكرهه حتى يأكل أو يشرب بنفسه أو أُكرهت على التمكين من الوطء ففعلت: فالصحيح أن صيام المكره صحيح ولا يبطل، وذلك لأنه مأمور بدفع الضرر عن نفسه، فقياسه على الناسي من باب أولى؛ لأن الناسي ليس مخاطبًا بأمر ولا نهي.

السبب السادس: النقص:

تعريفه: هو ضد الكمال، والمراد بالنقص هنا هو نقص العبد عن الوصول إلى مرحلة البلوغ وتمام التكليف بحيث يشق التكليف عليه أو وجود صفة فيه ولو كان مكلفًا يكون التكليف الشرعي بسببها فيه مشقة عليه.

صيام الصبي والمجنون

لا يجب عليهما صيام رمضان ولا يجب عليهما قضاء ما فات قبل البلوغ أو العقل؛ لما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل. [رواه أبو داود وصححه الألباني]، وإن كان يستحب تعويد الصغار على الصوم لفعل الصحابة ذلك مع صغارهم.

الحائض والنفساء:

لا يحل لهما الصوم ويفطران رمضان ويقضيان، فإذا صامتا لم يجزئهما الصوم، فعن معاذة قالت: سألت عائشة فقلت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، فقالت: أحرورية أنت؟ قلت: لست بحرورية ولكني أسأل، قالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة. [متفق عليه].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أليس إحداكن إذا حاضت لم تصل ولم تصم، فذلك من نقصان دينها». [متفق عليه].

فإن كانت صائمة ونزل دم الحيض أو النفاس في أي وقت قبل الغروب، فسد صوم ذلك اليوم، ويجب عليها الإمساك بقية اليوم لحرمته، أما إن كانت حائضًا أو نفساء وطهرت قبل الغروب فيستحب لها الإمساك ولا يجب.

أما المستحاضة: فصيامها صحيح، وهي التي ينزل منها الدم في غير وقت الحيض.

الحامل والمرضع:

إن خافتا من الصوم على أنفسهما أو على ولدهما أفطرتا وقضتا ولا فدية عليهما.

دليله: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحامل أو المرضع الصوم أو الصيام». [رواه الترمذي وقال عنه الألباني: حسن صحيح]. وهذا الحديث المتقدم في السفر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «رخص للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة في ذلك وهما يطيقان الصوم أن يفطرا إن شاءا أو يطعما كل يوم مسكينًا ولا قضاء عليهما ثم نسخ ذلك في هذه الآية ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وثبت للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة إذا كانا لا يطيقان الصوم والحبلى والمرضع إذا خافتا أفطرتا وأطعمتا كل يوم مسكينًا». [رواه أبو داود وصححه الألباني]. والراجح من أقوال أهل العلم أن الحامل والمرضع تفطران وتقضيان ولا فدية عليهما كالمريض.

السبب السابع: العسر وعموم البلوى:

تعريفه: المراد بالعسر هنا هو المشقة التي يعانيها المكلف في تجنب الشيء عند أداء الأمر المكلف به شرعًا على جهة العزيمة. والمراد بعموم البلوى هو شيوع الأمر بين العباد المكلفين بحيث يصير بلاء يصعب على المكلف الاحتراز منه والبعد عنه.

اختلف الفقهاء في العلة في ترخيص الإفطار للمسافر هل هي السفر؟ أم هي المشقة؟

فمن ذهب إلى أن العلة هي السفر لم يجز لغير المسافر والمريض الإفطار في نهار رمضان ولو شعر بالمشقة، وقالوا: إن العلة هي السفر لأنها وصف ظاهر منضبط بينما المشقة تختلف من شخص إلى آخر، وهي الحكمة وليست العلة.

ومن رأى أن المشقة هي العلة أجازوا لكل من يشق عليه الصوم مشقة كبيرة لا يتحملها أن يفطر في رمضان من الأعمال التي لا غنى عنها للناس مثل الخباز الذي يقف أمام الفرن، والحق أن العلة في الإفطار للمسافر هي السفر.

من كل ما سبق يتضح مدى كمال الشريعة الإسلامية وأنها شريعة لا تكلف بما لا يطاق، وأن اليسر والسماحة منهج ثابت فيها لا يتغير ولا يتبدل. والله الموفق.

كيف نستقبل شهر الطاعات

إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فإن لشهر رمضان منزلة ومكانة في قلوب المؤمنين، وذلك لأنه شهر لين القلوب، وفعل الخيرات، وترك المنكرات، فكيف نستقبل هذا الضيف العزيز الذي غاب عنا أحد عشر شهرًا، ثم ها هو يأتينا بعد فراق، ونلاقيه بعد بعاد، يأتينا بعطاياه ومِنَحه، فهو شهر القرآن وشهر القيام، شهر العتق من النيران، تُفتح فيه أبواب الجنان، وتُغلق أبواب النيران، شهر ليلة القدر.

١- شهر الرحمة والمغفرة والصبر والتقوى، شهر الأجور العظيمة والفضائل الكثيرة:

فحري بالمسلم أن يستقبله أحسن استقبال، وأن يستعد له لينتفع منه أعظم نفع، فيخرج منه وقد زكت نفسه، وطهر قلبه، «قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا» [الشمس:٩، ١٠]، وقد أدرك السلف قيمة هذا الشهر الكريم، ولذا كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يظلهم رمضان، وإذا انتهى بكوا على فراقه، وسألوا الله القبول الأشهر الأخرى.

والناس يتفاوتون ويتفاضلون في استقباله، فمنهم من استهوته الشياطين فيستقبله بالاحتفالات والأغاني والأناشيد والموسيقى، ومنهم من يستقبله بإعداد برامج رياضية وسهرات ليلية فيها التبرج والسفور والفجور ولقاءات مع المطربين والمطربات والممثلين والممثلات؛ ليشغلوا الناس عن الطاعات، ومنهم من يستقبله بالنزول إلى الأسواق لشراء ألوان الطعام والشراب.

بيد أن هناك عبادًا عرفوا للشهر قدره؛ فراحوا يستقبلونه بالتوبة والعمل الصالح، وشكر الله بالقلب واللسان والجوارح، فبادروا بالإقلاع عن الذنوب والمعاصي، وتخلصوا من قيد الشهوات وزوال المعاصي والموبقات، فأحسنوا التوبة النصوح، يقول جل شأنه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [التحريم:٨].

ويقول جل شأنه: «أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» [المائدة:٧٤].

فلنبادر بالتوبة في هذا الشهر الكريم عسى الله أن يقبل توبتنا؛ لفضل الزمان ولتحقيق شروط التوبة من ندم على المعاصي، وعزم على عدم العودة إليها، وإقلاع عن المعصية وأصحابها، ورد المظالم إلى أهلها قبل أنْ لا يكون درهم ولا دينار، وصدق خير المرسلين صلى الله عليه وسلم: «من كانت له عند أخيه مظلمة فليتحلله منها قبل أن لا يكون درهم ولا دينار» [رواه البخاري والترمذي].

التعجيل بالتوبة

فالظلم كل الظلم ألا نعجل بالتوبة النصوح: «وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» [الحجرات:١١].

وكفى بالتوبة شرفًا أن الله يحب أصحابها: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» [البقرة:٢٢٢].

والتوبة تمحو الذنوب حتى وإن كانت كالجبال، وتقي سوء الخاتمة التي هي سبب الهلاك والعذاب: «فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ» [سورة التوبة:٧٤].

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن وسّع باب التوبة، وجعله مفتوحًا لا يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها، فضلاً عن فرح رب العالمين بتوبة عبده العاصي مع أنه الغني عن العالمين، يقول سبحانه: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» [فاطر:١٥]، وقال تعالى: «وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ» [الأنعام:١٣٣].

فلنسارع بالتوبة قبل استقبال هذا الضيف العزيز، ولنبادر بها لنكون من الفرحين بالطاعات، الفرحين عند لقاء رب البريات، فللصائم فرحتان؛ فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه. [صحيح مسلم ١١٥١]

ومن الأمور المهمة عند استقبال هذا الشهر الكريم: التفقه في أحكام الصيام، ومعرفة هديه صلى الله عليه وسلم في رمضان، فلندرس شروط الصيام والمفطرات، وما يجوز، وما لا يجوز بالنسبة للصائم، وأحكام صلاة القيام، فضلاً عن آدابه وسننه، وأحكام الأعذار المبيحة للفطر من سفر ومرض؛ لنكون على بصيرة ونعبد الله بما شرع، فكل عبادة يجب أن تكون صحيحة موافقة لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تكون مقبولة، قال صلى الله عليه وسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» [متفق عليه].

إدخال السرور على المسلمين

فهو شهر تُفتح فيه أبواب الخير، سواء كانت دنيوية أم أخروية، فوسِّع أخي على إخوانك وأهل بيتك وأرحامك وجيرانك، فأفضل الأعمال أن تُدخل على أخيك المسلم السرور، وتقضي عنه ديناً، أو تطعمه خبزاً. [صحيح الجامع: ١٠٩٦].

فلنتحول في هذا الشهر من الإساءة إلى الإحسان، ومن التقاطع إلى التعاطف والتراحم، فنطعم إخواننا مما نطعم، ولندخل السرور عليهم، ولنشاركهم قضاء حوائجهم، ولننفس عنهم كروبهم، فمن نفس عن أخيه كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه. [صحيح مسلم]

فلنجعل رمضان ملتقى للأحبة وسائر الأرحام والإخوان في طاعة الرحيم الرحمن.

النظافة والتطهير

ونقصد بها النظافة الباطنة والظاهرة، والنظافة الباطنة هي نظافة القلب من الشرك والمعاصي، كبائر كانت أم صغائر، قال تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤]، ونظافة الظاهر بالطهور من غسل ووضوء، وطهارة البدن؛ وذلك التخلي يسبق التحلي، فقبل أن نتحلى بصيام رمضان لا بد أن نتخلى عن النجاسات بنوعيها الباطنة والظاهرة: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [سورة التوبة:١٠٨].

حسن الخلق ولين الجانب وعفة اللسان والرحمة بالصغير وتوقير الكبير

وهذه المعاني يجب أن نجعلها نقطة تحول في هذا الشهر الكريم، فكما أن رمضان تتغير فيه العادات التي ألفها المرء طوال العام، فلا بد أن ينعكس هذا التغير على خلقه الذي هو أثقل ما يوضع في الميزان حتى إنه لينال بحسن خُلقه درجة الصائم القائم، ففي الحديث: «إن المؤمن ليدرك بحُسن الخُلق درجة القائم الصائم». [صحيح الجامع: ١٩٣٢].

وفي الحديث أيضاً: «أثقل شيء يُوضع في الميزان: الخُلق الحسن». [صحيح الجامع: ١٣٥].

وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن البر هو حسن الخلق [صحيح مسلم]، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه.

فلنبادر بالتحول في موسم الطاعات وشهر البركات والنفحات من الفُرْقة إلى الوحدة، ومن التحزب والتعصب إلى المودة والرحمة، ومن الفحش والتفحش واللعن والسباب إلى الحلم والعفو والصفح والتغاضي عن الزلات، ولنجعل رمضان منطلقاً للألفة ومقاطعة للسب والتلاعن والهجر؛ مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، والراحمون يرحمهم الرحمن، ومن لا يَرحم لا يُرحم.

التقلل من الطعام

فهو من مقاصد الصيام لإعطاء المعدة فرصة للراحة وإعطاء النفس فرصة للطاعة، فكثرة الطعام تقسي القلوب حتى تجعلها كالحجارة وتثقل الطاعة على النفوس، ولذا فمن أراد الاستمتاع بالذكر والصلاة، فلا يكثر من الطعام بل يخفف منه، فإن قلة الطعام توجب رقة القلب وقوة الفهم وانكسار النفس وضعف الهوى والغضب.

قال محمد بن واسع: من قل طعامه فهم وصفا ورق، وإن كثرة الطعام تمنع صاحبها عن كثير مما يريد.

وقال سلمة بن سعيد: إن كان الرجل ليعيَّر بالبطن كما يُعيَّر بالذنب يعمله.

وقد تجشأ رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «كف عنا جشاءك، فإن أطولكم شبعاً في الدنيا أطولكم جوعاً يوم القيامة». [رواه الترمذي وحسنه الألباني].

معرفة شرف الزمان

ذلك لأن الوقت هو الحياة، وهو رأس مالك الذي تتاجر فيه مع الله، وتطلب به السعادة، وبقدر ما تفقده منه في غير الأعمال الصالحة تفقد من السعادة في الآخرة بقدره.

قال ابن الجوزي: ينبغي للإنسان أن يعرف شرف وقيمة وقته فلا يضيع فيه لحظة في غير قُرْبَة.

ورمضان - إخواني - من أنفس لحظات العُمر، وهو كما قال الله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران:٢٤]، وهذا يشير إلى كونها قليلة وسرعان ما تنقضي فهي سريعة الرحيل.

فبادر أخي باغتنام الأوقات في هذا الشهر الكريم، فمشقة الطاعة تمر ويبقى أجرها عند الله، فساعة الذكر والطاعة ثروة وغنى، وساعة اللهو إفلاس وندامة.

والله من وراء القصد.

غـزوة بدر الكبرى

دروس وعبر

إعداد: د/ أحمد نصر الله خير
(أستاذ الحديث وعلوم القرآن بالجامعة السلفية - لاهور)

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.. وبعد.

أجد لزاما عليّ قبل الخوض في تفاصيل هذه المعركة الحاسمة أن أتوجه بالنصيحة الخالصة إلى كل مسلم جاد صادق يحب أن تكون كلمة الله هي العليا، وعلى وجه الخصوص إلى أهل الدعوة والتربية والتوجيه بألا يسردوا غزوات وذكريات سلف الأمة سرد القُصّاص الذين يقفون على ظاهر القول دونما استلهام للعبر والتقاط للدرر من الدروس الربانية التي تنير الطريق أمام العاملين لهذا الدين، ولا أدل على ذلك من قصة يوسف الصديق عليه السلام التي احتلت مساحة كبيرة من كتاب الله، ونزلت بشأنها سورة كاملة تحمل الاسم وتسرد وقائع وتفاصيل أحداث يقف المرء مبهورًا لدقتها حائرًا في جمع دلالاتها، فيأتيه البيان جليًا قبل أن تختتم السورة أخبارها، وتغلق ملف أحداثها؛ لتؤكد على الغاية الكبرى من وراء الاستعراض التفصيلي لهذا الحدث الجلل.. فتقول «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» [سورة يوسف ١١١].

فإذا تأسس هذا المنهج في دراسة السيرة النبوية، فقد تمهّد الطريق للوقوف على بعض الدروس والعبر من تلك الغزوة العظيمة التي كانت بمثابة إيذان بالزحف الإسلامي الهادر الذي لم يقف حتى تحقق غاياته الربانية و(..حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ..).

الغزوة في سطور:

لقد بدأت مشروعية القتال بعد الهجرة ووضعت تلك المشروعية موضع التنفيذ في شهر صفر على رأس اثني عشر شهرًا من الهجرة، فقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم إذ ذاك لأول مرة بقصد الغزو يريد قريشًا وبني حمزة، ولكنه كُفي القتال بعد أن وادعه بنو حمزة، وعاد هو وصحبه إلى المدينة دون قتال، وسميت «غزوة ودان».. أما غزوة بدر الكبرى فقد بدأت مقدماتها بعد أن ترامى إلى سمع النبي صلى الله عليه وسلم أن قافلة تجارية لقريش قادمة من الشام بقيادة أبي سفيان بن حرب، فندب المسلمين إليها ليستولوا عليها مقابل ما تركوا من أموالهم في مكة واستولى عليها كفار قريش ظلمًا وعدوانًا، وتحسس أبو سفيان الأمر وهو في طريقه إلى مكة، فبلغه عزم المسلمين على خروجهم لأخذ العير فأرسل ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة ليخبر قريشًا بالخبر، ويستنفرهم للخروج؛ تأمينًا لأموالهم، فبلغ الخبر قريشًا فتجهزوا سراعًا، وخرجوا كلهم قاصدين الغزو، وكانوا قريبًا من ألف مقاتل، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في ليال مضت من شهر رمضان شهر العبادة والغفران وكانوا ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً - ولكن ليسوا ككل

الرجال- وهم لا يعلمون من أمر قريش وخروجهم شيئًا.. ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً.. أما أبو سفيان فقد أحرز العير وسلك طريق الساحل إلى مكة، وجعل ماء بدر عن يساره، وأخذ يسرع حتى نجى هو وتجارته من الخطر.. ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه خبر مسير قريش إلى المسلمين فعرض الأمر على أصحابه.

الحدث والموقف:

قبيل الغزوة عرض النبي صلى الله عليه وسلم الأمر على أصحابه، فقال المقداد بن عمرو رضي الله عنه - وهو من المهاجرين-: (يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغمام لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فأشرق وجه النبي صلى الله عليه وسلم وسُرَّ.. ثم جاء دور الأنصار فقال سعد بن معاذ: (قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد.. وفي رواية: والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لأخضناها معك، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك، وما نكره أن تلقى بنا عدونا.. إنا لصُبُر في الحرب، صُدُق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله، ولعلك أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره، فانظر الذي أحدث الله إليك فامض، وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت، وعادِ من شئت وسالمْ من شئت وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت به أمر فأمرنا تبع لأمرك..... فاستبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال: سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم» [أصل القصة في البخاري، والخبر بطوله في البداية والنهاية ٣/٣٦٢].

الدرس والعبرة:

هذا الموقف البطولي الرائع لا يكاد يفتقر إلى تعليق، فهؤلاء رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ولا أملك إلا أن أتوجه إلى نفسي وإلى كل محب لهذا الدين بقوله تعالى: «أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ...» نسير على نهجهم: عقيدة صافية، عبادة راقية، جهد كبير في دعوة سامية لا نخاف فيها لومة لائم، بل نكون من « ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا » [الأحزاب: ٣٩].

الحدث والموقف:

مضى جيش المسلمين حتى نزلوا بالعدوة القصوى من وادي بدر، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أدنى ماء من مياه بدر، فقال أحد الصحابة وهو الحباب بن المنذر: «يا رسول الله: أرأيت هذا المنزل، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا أن نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال صلى الله عليه وسلم: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال: فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نُغَوِّر ما وراءه من الآبار، ثم نبني عليه حوضًا فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحول إلى المكان والرأي اللذين أشار بهما الحباب رضي الله عنه» [أخرج القصة ابن حجر في الإصابة بسند صحيح (انظر الإصابة ١/٣٠٢)].

الدرس والعبرة:

فنون القتال وأساليب الكر والفر والخداع والمكر في الحرب من شؤون الدنيا، ومردها إلى الخبرة والحنكة والممارسة، وهو الأمر الذي ينبغي أن يتسع له صدر القائد الأعلى ولو كان سيد البشر صلى الله عليه وسلم، كيف لا وهو القائل «إذا كان شيءٌ مِنْ أمرِ دُنياكم فأنتم أعلمُ به...» [الحديث صححه الألباني وأصله في مسلم].

لذا فقد أفسح - صلى الله عليه وسلم- المجال لأصحابه بأن يدلوا بدلوهم في التخطيط للمعركة، وكانت خطة الحباب بن المنذر هي الأقوى والأنكى في العدو؛ حيث يقطع عليهم الماء فتنكسر شوكتهم وينقلبوا خائبين.. وتلك دلالة على مشروعية تعدد الآراء في باب السياسة الشرعية فيما لم يرد فيه نص، وكذا استحباب المشورة مع تقبل الأفكار الحديثة التي قد يحالفها النجاح والفلاح ولو جاءت من المفضول أو حديث السن.

الحدث والموقف:

راح النبي صلى الله عليه وسلم يجأر إلى الله عز وجل بالدعاء مساء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان ويقول: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك وتكذب رسولك، اللهم نصرك الذي وعدتني.. وظل يناشد الله متضرعًا وخاشعًا وهو يبسط كفيه إلى السماء حتى وقع الرداء من على

كتفيه وأشفق عليه الصديق أبو بكر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر: «أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدًا» [البخاري (٤٥٩٦)]. فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال: حسبك يا رسول الله، فقد ألححت على ربك، وهو في الدرع، فخرج وهو يقول: « سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ».

الدرس والعبرة:

إن الأمر كله لله، وما النصر إلا من عنده، ومن يكن في معية الله فلن يُغْلَب؛ لأن مقاليد الأمور كلها بيده عز وجل.. ومن ثَم فلا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، وعليه فليتوكل المؤمنون.. تلك الومضات الربانية لعلها كانت وراء لهج النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه بالدعاء واللجوء إلى الركن الشديد، فالذكر والدعاء من أركان النصر في الحرب، قال تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » [الأنفال: ٤٥].. والذكر عامة - والاستغفار على وجه الخصوص- يشارك في موازين القوى إزاء المواجهة العسكرية مع العدو؛ إذ يزيد المؤمنين قوة إلى قوتهم، ولا غرو في ذلك ولا يعلم جنود ربك إلا هو، قال عز من قائل: «وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ » [هود: ٥٢].. بل إن اليقين في الله وصفاته ووعده، عنصر من عناصر صلاح وفلاح أول هذه الأمة، والمرجو من آخرها التخلق بمزيد من اليقين لبلوغ النصر المبين، فإنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، كما قرر ذلك سلفنا الصالح.

الحدث والموقف:

لما فتح الله على المسلمين ونصرهم نصرًا عزيزًا مؤزرًا استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بشأن الأسرى وقد صح في الحديث «عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر قال: ما ترون في هؤلاء الأسرى؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا نبي الله! بنو العم والعشيرة والإخوان، غير أنا نأخذ منهم الفداء ليكون لنا قوة على المشركين، وعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام ويكونوا لنا عضدًا، قال: فماذا ترى يا ابن الخطاب؟ قلت: يا نبي الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدهم فقرّبهم فاضرب أعناقهم، قال: فَهَوِيَ رسول الله صلى الله عليه و سلم ما قال أبو بكر رضي الله عنه ولم يهو ما قلت أنا، وأخذ منهم الفداء، فلما أصبحت غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا هو وأبو بكر رضي الله عنه قاعدان يبكيان، فقلت: يا نبي الله! أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت وإلا تباكيت لبكائكما؟ قال الذي عرض عليّ أصحابك، لقد عرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة وشجرة قريبة حينئذ فأنزل الله عزوجل: « مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » [الحديث في سنن البيهقي (١٠٩/١٠) وهو في مسلم].

الدرس والعبرة:

الشورى مبدأ إسلامي أصيل، قرره الشارع الحكيم وأوجبه على كل من كانت له ولاية على المسلمين، قال تعالى في سورة سُميت على اسم المبدأ الأصيل «سورة الشورى»: « وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ » [الشورى: ٣٧- ٣٩].

وإن تعجب فعجب أن هذه الآية نزلت قبل تأسيس دولة الإسلام في المدينة المنورة، وتمكين القيادة العليا من بسط سيطرتها على مقاليد الأمور وإدارة شئون البلاد، فهذا يعمق تأصيل هذا المبدأ.. فلما أذن الله وأكرم عباده الصالحين بالتمكين في الأرض لم يصبح مبدأ الشورى مجرد صفة للعلاقات الداخلية في العمل الجماعي وحسب، وإنما صار أمرًا إلزاميًا لكل قيادة وعلى كل من اجتمعوا على أمر جامع وجب عليهم العمل بهذا المبدأ..قال تعالى: « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ » [آل عمران: ١٥٩].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشورى وتحسس الآراء لاختيار الأرجح والأنسب في الموقف، إنما يكون في الأمور التي لا نص فيها صريح مما له علاقة بالتدبير والسياسة الشرعية وتنظيم شئون البلاد وإدارتها، بيد أن المسائل المنصوص على حكمها وفيها قضاء من الله ورسوله فلا مجال للشورى فيها ولا تعرض للانتخاب والاختيار، ومن فعل ذلك فهو في شك من دينه وعلى شفا حفرة من النار.. قال تعالى: « مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا » [الأحزاب: ٣٦].

الحدث والموقف:

بعد أن وضعت الحرب أوزارها وظهر لأول مرة بريق الغنائم والأموال، اختلف خيرة البشر رضوان الله عليهم حول سياسة تقسيمها بينهم وجهروا بالسؤال لرفع الخلاف، وما كان ينبغي لهم الاختلاف حول لعاعة الدنيا؛ فما الموقف وما الذي حدث؟ أخرج

الحاكم وصححه ووافقه الذهبي: عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سألته عن الأنفال قال: فينا يوم بدر نزلت كان الناس على ثلاث منازل: ثلث يقاتل العدو وثلث يجمع المتاع ويأخذ الأسارى وثلث عند الخيمة يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما جمع المتاع اختلفوا فيه فقال الذين جمعوه وأخذوه قد نفل رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امرئ منا ما أصاب فهو لنا دونكم، وقال الذين يقاتلون العدو ويطلبونه: والله لولا نحن ما أصبتموه فنحن شغلنا القوم، وقال الحرس: والله ما أنتم بأحق به منا لقد رأينا أن نقاتل العدو حين منحنا الله أكتافهم أن نأخذ المتاع حين لم يكن أحد يمنع دونه ولكنا خفنا غرة العدو على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمنا دونه قال: فانتزعها الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه على السواء، لم يكن فيه يومئذ خمس فكان فيه تقوى الله وطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وصلاح ذات البين). [الحاكم وصححه ووافقه الذهبي].

هذا وقد نزلت الآيات في صدر سورة الأنفال تحكي هذا المشهد، قال تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» [الأنفال: ١- ٤].

الدرس والعبرة:

إن غزوة بدر هي أول تجربة للمسلمين في التضحية والقتال في سبيل الله وهم على ما كانوا عليه من الضعف والقلة، وكذلك هي أول تجربة لهم في رؤية الغنائم والأموال أمامهم في أعقاب المعركة وهم على ما كانوا عليه من الفقر والحاجة.. وقد عالج الله بحكمته الإلهية تجربة القتال مع الضعف بأن أمدهم بمدد من عنده وجنود لم يروها، وثبّت الأقدام وربط على القلوب.. أما مسألة رؤية الغنائم والأموال مع الحاجة والفقر فقد عُولجت بدروس تربوية رائعة.. ففي أول لفتة تربوية أن المولى عز وجل لم يجب على الفور على سؤالهم عن تقسيم الأنفال والغنائم، بل صرفهم إلى ما هو أعلى وأجلّ وخير وأبقى، ابتداء بالتقوى خير الزاد ومرورًا بإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله وانتهاءً بصفات المؤمنين حق الإيمان..كيف ذلك؟ «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ».. ولم يجبهم لطلبهم ولم يفسّر لهم نصيبهم بل صرفهم إلى التقوى، ذلك خير لهم مما يجمعون: «فَاتَّقُوا اللَّهَ».. احذروا عقابه وفوزوا برضاه، واحذروا الشحناء والبغضاء «وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ».. فإن فساد القلوب وتنافر الأرواح هو الطامة الكبرى التي لا تبقي على كيان ولا يصمد أمامها بنيان، بل هو يفسد الدين والدنيا كما قال تعالى: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» [الأنفال: ٤٦].. بل إذا استفحلت الخصومة وفسدت العلاقات الداخلية يكاد هذا الجمع أن ينفض ويسحق.. عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال: صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة.. وفي رواية: لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» [الترمذي وصححه الألباني].

فإذا تأسس هذا البنيان على تقوى من الله ورضوان تمهد الطريق لاستعراض الصفات العملية التي تحيل هذا التجمع إلى الربانية.. وعلى رأس هذه الصفات أن يلهج المرء المسلم بذكر ربه فهو زاد على الطريق كما أشرنا من قبل « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ».

وزيادة الإيمان عند سماع كلمات الله هو اليقين الذي أشرنا من قبل أنه سبب للنصر والفلاح.. وفي ختام الجولة الربانية تأكيد على أن « أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ».. وهنا يقع السؤال: أليست صفات الإيمان والدرجات العلى والمغفرة بل والرزق الكريم خيرٌ من الرزق المادي الذي يفنى، ولا يستحق أن يكون سببًا لخلافكم وتبديد محبتكم.. فإذا استقرت هذه المعاني الإيمانية في القلوب لا بأس حينها أن يُجاب لكم عن سؤالكم. «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ...... فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ».

فما أعظمه من درس وما أقيمها من موعظة صدرت من العليم الحكيم «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» و «وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ».

والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

إصلاح القلب وصون الجوارح في شهر رمضان

الحمد لله، وصلاة وسلامًا على خاتم رسل الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فالتربية الإيمانية أثر من آثار صيام الشهر الفضيل، وعن إصلاح القلب وصون الجوارح، وعلى الرأس منها ما تعلق بشهوتي البطن والفرج؛ باعتبار أن في ذلك ترقيًا بالنفس عن حظوظ الدنيا وغوائلها إلى درجات الآخرة ولذائذها.

ويأتي ضمن هذه الأمور التي تحقق ما يصبو إليه العبد المؤمن من جراء فريضة الصيام:

١- تهذيب النفس الأمارة بالسوء

فما من شك أن نفسًا اجتمع لها من ألوان التربية والتهذيب: تقوى الله ومراقبته، والإيمان به، والإخلاص له، واجتمع لها إلى جانب ذلك صلاح القلب وما تبعه من الجوارح، وتم استجماعها على نور القرآن لتهتدي به مع الإيمان في ظلمات الجهالة وغياهب الضلالة، لهي نفس سوية، فالإيمان حياة المؤمن التي لا حياة له إلا به، والقرآن شفاء نفسه وصدره، ونوره الذي يضيء طريقه ويهتدي ويعرف به كيف يسلك وكيف يتصرف. [ابن كثير: ٢/١٧٦].

وآياته البينات روحه التي تسري في جسده على ما أفاد ذلك كله قول الله تعالى - ضمن آيات الصيام وأحكامه-:«هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ» [البقرة:١٨٥]، وقوله في غيرها: «إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا» [الإسراء:٩]، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما-: «أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل يدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من شهر رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة» [متفق عليه].

كما كان لأصحابه والذين جاءوا من بعدهم هدايات في نور القرآن وأحوال يضيق المقام عن ذكرها، واقتداؤنا به وبهم في هذا الشهر الكريم يدعونا لأن نتلو القرآن آناء الليل وأطراف النهار؛ إذ من ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وحسبه إلى جانب ذلك أن به صلاح الدنيا والآخرة، وأنه مع الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة، بل إنه ليمثل مصدر العز وأصل الرفعة والفخار وأسمى ما يُرتقى به في الدنيا وفي العقبى على مستوى الأفراد

إعداد/ محمد عبدالعليم الدسوقي

والمجتمعات على ما جاء في قوله صلوات الله عليه: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كُنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرأها». [أبو داود ١٤٦٤ وصححه الألباني].

وقوله: «إن الله يرفع بهذا القرآن قومًا ويضع به آخرين» [مسلم ٨١٧]. ولنا أن نتصور نفوسًا قد تربت طوال شهر كامل على مائدة الرحمن ماذا عسى أن تكون إلا نفوسًا مطمئنة راضية مرضية، فالإيمان ثم القرآن هو منهج التربية المعتمد الذي صهر نفوس من سبقونا بالإيمان، فجاهدوا وضحوا وسادوا، وفازوا بسعادة الدارين.

يقول جندب بن عبد الله رضي الله عنه: «تعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا إيمانًا». بمثل هذا تكمل فضائل النفس.

وإذا عرف الإنسان كيف يقهر نفسه ويحجزها عن محبوباتها من أجل غاية أسمى، فإنه يسهل عليه بعد ذلك أن يقودها إلى كل ما فيه نجاتها وسعادتها، وأن يرُدَّها عن موارد الهلكة والشقاء، فيسعد بها وتسعد به ويعيش حياته طليقًا لا تستعبده شهوة، ولا يستفزه طمع، ولا تضره فتنة، ولأجل هذا كان رمضان هو شهر الجهاد والانتصارات.. والاستعانة في كل ذلك إنما تكون بالله، ولقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها». [مسلم ٢٧٢٢].

٢- تهذيب السلوك الإنساني

إن من أهم ما نتعلمه من مدرسة الصيام: اغتنام الأوقات وتنظيمها ولزوم المسجد وترويض النفس على تقويم ما اعتادته، لتسير في رمضان على وفق ما شرع الله وأحبه رسوله، وليعتاد المؤمن على ذلك حتى يقضي نحبه ويلقى ربه.

وبتتبع ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان ندرك هذا المعنى جيدًا، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم ليله، ويصوم نهاره ليوفر ساعات ليله وساعات عمله ودعوته وصومه في نهاره على العبادة، وذكر الله وطلب مغفرته، وكان يحث أصحابه على القيام وصيام النافلة ويرغب فيهما من

غير أن يأمر بعزيمة شفقةً بأمته، كما كان صلى الله عليه وسلم يتدارس القرآن مع جبريل ويحث أصحابه على مدارسته كذلك، ويقول: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: «الم» حرف، بل «ألف» حرف، و«لام» حرف، و«ميم» حرف» [الترمذي ٢٩١٠ وصححه الألباني].. وكان يحب تأخير السحور فيجعله قبل الفجر.

يحكي عنه أنس رضي الله عنه فيما رواه البخاري أنه صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت تسحرا، فلما فرغا من سحورهما، قام صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة، فصلى، قلنا لأنس: كم كان بين فراغهما من سحورهما ودخولهما في الصلاة؟ قال: قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية. [متفق عليه]، ويحب تعجيل الفطور ويجعله قبل صلاة المغرب، ويقول: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطور». [متفق عليه].

ولا ذنب لرمضان - بعد كل ذلك - فيمن اعوج سلوكه فراح يقضي نهاره كله أو جُله في نوم، فيحرم نفسه حلاوة الصيام وسره الروحي، ولا فيمن يدع الصيام بالكلية في غير رمضان، فلا يأتي ما تيسر له منه من النوافل، ولا فيمن يتهاون لاسيما في رمضان في قيام ليله أو بعضه والانصراف عن إمامه قبل أن ينصرف، فيفوت نفسه ثواب قيام الليل كله على ما صح عند أصحاب السنن، ولا فيمن يضيعون أوقاتهم في رمضان وغيره فيما لا يفيد، وفيما لا طائل من ورائه من نحو ما يحدث ممن لا خلاق لهم أو سيئ السير والسلوك من بغاة الشر، وعليه ولتفادي كل ذلك فإن رمضان إنما يمثل فرصة لتعديل نظام الأفراد لتشب الأمة ويقوى عودها، وتصح عافيتها، وتقوى شوكتها.

٣- إيقاظ الضمائر وتربيتها:

فصاحب القلب الحي يغدو في رمضان ويروح، ويمسي ويصبح، وفي ذهنه مراقبة الخالق جل وعلا، وفي أعماقه حسٌ ومحاسبة لدقات قلبه ونطق لسانه وسماع أذنه وحركة يده وسير قدمه، وإنما تأتى له كل ذلك؛ لأنه تجرد - بتحقيق علة الصيام - عن الأثرة والغش والهوى، وعرف بيقين أن الصوم أكبر حافز لتحصيل معنى التقوى لله، وخير أداة من أدواتها وأحسن طريق موصل إليها، وماذا بعد أن يرفعها الله، ويجعلها هدف الصيام والقيام والدعاء في رمضان..

وأساس التقوى: أن يعلم العبد ما يتقي ثم يتقي، يقول ميمون بن مهران: «لا يكون الرجل تقيًا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك الشحيح لشريكه، وحتى يعلم من أين ملبسه ومطعمه ومشربه».

ويقول حاتم الأصم: «تعاهد نفسك في ثلاث: إذا عملت فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله منك، وإذا سكت فاذكر علم الله فيك». ويستلزم كل ذلك أن يتربى العبد على الواجبات والمستحبات ويتمثلها في رمضان، ويتعلم المحرمات والمكروهات وينأى بنفسه عنها، من هنا تتأتى صحوة الضمير ويتحقق معنى التعظيم الوارد ذكره في قوله تعالى: «وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ» [الحج:٣٠]، وقوله: «ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ» [الحج:٣٢]، إذ بغير ذلك فلربما صام الصائم عن المباحات ثم انتهك المحرمات، فأطلق بصره وسمعه وسائر جوارحه فيما يغضب الله، فيفسد - ربما دون أن يشعر - صيامه وقيامه.

ولعل هذا هو سبب التحذير والإنذار من مثل قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن خزيمة والحاكم وصححه: «ليس الصيام من الأكل والشرب، وإنما الصيام من اللغو والرفث»، وفي رواية في صحيح ابن ماجه (١٦٩٠): «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر».

فليس الصيام مجرد امتناع عن شهوة أو طعام وشراب، وإنما هو مراقبة وسمو بالضمائر لتصبح عابدة لله، وكأنها تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراها، وقد جاء عن عمر - وبمثله عن عليٍّ - قوله: «ليس الصيام عن الطعام والشراب وحده، ولكنه من الكذب والباطل واللغو والحلف». ويقول أبو العالية: «الصائم في عبادة، وإن كان راقدًا على فراشه ما لم يغتب، فكانت حفصة - رضي الله عنها تقول: يا حبذا عبادة وأنا نائمة».

ويقول ميمون بن مهران: «إن أهون الصوم ترك الطعام والشراب».

ويقول جابر بن عبد الله: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك، ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواءً».

إن التقرب إلى الله بترك المباحات لا يكمل إلا مع تربية الضمير بترك المحرمات، فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب إلى الله بترك المباحات كان بمثابة من ترك الفرائض وتقرب بالنوافل.

٤- بناء الأسرة الرشيدة

وإننا لو تأملنا حديث الربيع بنت معوذ لأدركنا كيف كان للصيام دوره لا في تربية الفرد فحسب، بل وفي تربية الأسرة التي تمثل اللبنة الأولى للمجتمع الإيماني، فهذه واحدة من الصحابيات الجليلات وهي الربيع بنت معوذ تقول - وهي تحكي ما كان عليه المسلمون يوم كان صيام يوم عاشوراء مفروضًا-: «كنا نصوِّم صبياننا - الصغار منهم - ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناهم إياها حتى يكون عند الإفطار». [متفق عليه].

ترى ما الذي حرك هذه المرأة - وهي تحرم صبيها ما تشتهيه نفسه - سوى الامتثال لأمر الله تعالى والتعود على الطاعة لله ولرسوله؟ وما الذي يمكن أن يخلفه فعلها من أثر تربوي في نفوس أبنائها؟ وماذا لو كانت كل واحدة من نساء المسلمين - وهو أمر حاصل في زمانها لا محالة - تفعل مثل ما تفعل؟ وماذا يمكن لو أن كل امرأة في عصرنا كانت تصنع صنيعها؟ إن هذه الصورة انعكست - ودون ما أدنى شك - وصنعت مجتمع الصحابة الذين ضحوا وسادوا وملئوا الأرض عدلاً ونورًا وهدًى، ولا يزال بقية من أمل في أن تسود مثل هذه الروح، ويتكرر مثل هذا النموذج ليتخرج الرجال الذين يصدقون ما عاهدوا الله

عليه، فيكتب الله لهم وبهم النصر، وتلك هي أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها - وزوجها صلوات الله عليه قد شد مئزره عنها، وعن سائر نسائه - تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دعاء تقوله: إن هي وافقت ليلة القدر فيجيبها قائلًا: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني». [أحمد والترمذي وابن ماجه (٣٨٥٠) وصححه الألباني].

وهذه أخرى من نساء الأنصار تُدعى أم سنان يحب لها النبي صلى الله عليه وسلم الخير، فيشير عليها بأن تعتمر في رمضان؛ لما للعمرة في رمضان من فضل، فيقول: «فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عمرة فيه تعدل حجة، أو قال: حجة معي». [مسلم ١٢٥٦].

وتلك زينب بنت أم سلمة تحكي فتقول: «لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم إذا بقيت من رمضان عشرة أيام يدع أحدًا من أهله يطيق القيام إلا أقامه». وهذه أمها تروي عنه صلى الله عليه وسلم قوله: «من يوقظ صواحب الحجر - يعني زوجاته - حتى يصلين». [البخاري ٦٢١٨].

وهذه فاطمة يحكي عليٌّ رضي الله عنه ما كان منه ومنها فيقول: إنه عليه السلام طرقه وفاطمة ليلة فقال: «ألا تصليان؟» [البخاري ١١٢٧].

٥- بعث الأخلاق في الأمة

إذ بحسن الخلق يدرك المؤمن درجة الصائم القائم، ففي الحديث: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار». [أبو داود ٤٧٩٨ وصححه الألباني]. فما يكون عليه الحال لو جُمع للمسلم في رمضان إلى جانب الصيام والقيام حسن الخلق، ولقد كان من ثناء الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من قبَل ربه ومولاه: « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » [القلم:٤]، وما كان خلقه إلا القرآن، فقد سأل هشام بن حكيم عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: «كان خلقه القرآن». [متفق عليه].

وما كانت سيرته إلا تطبيقًا عمليًا لحسن الخلق مع القريب والبعيد والصغير والكبير، بل حتى مع الجماد والحيوان، حتى بلغ به الأمر أنه كان يواسي في موت عصفور صغير كان يلهو به أخو أنس، فكان يقول له: «يا أبا عمير، ما فعل النغير» [متفق عليه]. وقد علمنا صلوات الله عليه أن جماع حُسن الخلق أن تعطي من حرمك، وأن تصل من قطعك وأن تعفو عمن ظلمك، ومن ذلك حين تقول لمن أساء إليك وأنت صائم: «اللهم إني صائم» [متفق عليه]، وأنه بحسن الخلق تنال محبة الله ومحبة رسوله، وترتفع منزلة العبد على ما أفاده قوله صلى الله عليه وسلم: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء». [صحيح سنن الترمذي].

وقوله: «إن أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا». [صحيح سنن أبي داود]. وإذا كان رب العزة سبحانه قد جعل رمضان فرصة سانحة لأن يغير المؤمن عاداته الرتيبة وتقاليده التي ألفها، فحريٌّ به أن يجعله مضمارًا لتحسين خلقه فيجتهد في أن يخلص ويصدق ويجود وينفق، ويدعو ربه بالهدى والتقى والعفاف والغنى، ويكون أمينًا برًّا وفيًا، متواضعًا مباركًا نقيًا، فيحقق بذلك لنفسه رضا ربه ومحبة نبيه والقرب منه وهو مبتغى العبد في رمضان، كما أنه بجميل خلقه تؤتي دعوته للإسلام وبالإسلام أكلها، ففي صحيح الجامع يقول صلى الله عليه وسلم: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق» [أحمد وصححه الألباني].

وفي الصحيحين يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «لما بلغ أبا ذر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي، فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق الأخ حتى قدم مكة وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق». [متفق عليه].

٦- نشدان المجتمع الإيماني المتكامل

إن ما أذن به وفيه الشارع الحكيم من إخراج ما يسمى بصدقة الفطر عن كل فرد في الأمة (طهرة للصائم وطعمة للمساكين)، ومن جعل وجوبها على من يملك فقط قوت يومه فيعطيها - من ثم - الفقير لمن كان على شاكلته ويلقاه وقد حمل كل منهما زكاته لصاحبه، لهو كفيل أن يقي المجتمع كله من براثن ما فعله الشح بمن كان قبلنا، وكفيل كذلك برفع أسباب هذا الهلاك المحقق، وبنزع هذه الأمراض الخبيثة التي كان من الممكن أن تفتك بمجتمع الإيمان - على نحو ما فتكت ولا تزال تفتك بغيره من مجتمعات السوء والكفر - لو لم تشرع لهذه الأمة مثل هذه الزكوات ويهدي الله قلوب أهل الإسلام عليها.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «من فطر صائمًا كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيئًا». [صحيح الترمذي للألباني].

كما يدركه من يقارن بين المجتمع الإسلامي وغيره ويستقري كمَّ الجرائم التي تحدث فيما يعرف بالمجتمعات المتقدمة، وإن أمة اجتمعت لها كل أسباب الرقي الإنساني على النحو السالف الذكر لهي جديرة بأن تتبوأ مكانتها من السعادة والهناء، فتنعم بنعم الله، ولا تقابلها إلا بالمزيد من طاعته والشكر له والإيمان به والثناء عليه، فهذا هو رمضان أعظم نعمة على هذه الأمة، فهو شهر معالجة أدواء النفوس وجمع القلوب ووحدة الصف وصون الجوارح وهجران المعاصي ولزوم الطاعات، فأي نعمة تلك التي تعمنا في هذا الشهر الفضيل، وما بعده تسمو بنا إلى هذا المستوى من الترقي في مدارج السالكين في الآخرة وسلم السابقين في الأخذ بأسباب اللذة والنعيم في الدنيا.

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ونسأله سبحانه أن يتم علينا نعمته، وأن يمكننا لأن نقدرها قدرها، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

من أخبار الجماعة

دعوة فضيلة الرئيس العام لحضور ندوة رابطة الجامعات الإسلامية

أرسلت رابطة الجامعات الإسلامية دعوة كريمة لفضيلة الرئيس العام لحضور اجتماع يضم كافة الأحزاب والقوى ذات المرجعية الدينية للخروج بوثيقة موحدة بخصوص: المعايير الواجب توافرها في اللجنة التي ستتشكل لإعداد الدستور الجديد للبلاد، وهل هناك مبادئ فوق دستورية؛ وكيفية مواجهة سبل الالتفاف على إرادة الأمة بخصوص المسائل الدستورية، وذلك في إطار مجموعة من الندوات تعقدها الرابطة لدراسة الإصلاحات المنشودة لإعادة بناء الأمة والحفاظ على هويتها الإسلامية.

وقد شاركت الجماعة في هذه الندوة إيمانًا منها بالمشاركة فيما يخص مصير الأمة.

حفظ الله أمتنا، وهيأ لها من أمرها رشدًا.

المشرف العام على مجلة التوحيد في زيارة للسودان

في زيارة للسودان الشقيق، قام الدكتور / عبد العظيم بدوي، نائب الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية والمشرف العام على مجلة التوحيد بالمشاركة في بعض الفعاليات الدعوية.

تأتي هذه الزيارة في إطار التواصل بين الجماعتين في مصر والسودان، وقد كان الشيخ أسامة سليمان والشيخ عبده الأقرع في زيارة للسودان منذ شهرين تقريبًا للمشاركة في بعض البرامج الدعوية وإلقاء المحاضرات والندوات العلمية.

وقد ألقى الدكتور / عبد العظيم بدوي – حفظه الله – محاضرة يوم الخميس ٢٠١١/٧/١٧م بعنوان «السلفية منهج حياة»، وذلك بمسجد الثورة، وألقى خطبة الجمعة بمسجد الفتح الإسلامي بالصحافة، وألقى في نفس المسجد محاضرة بعد صلاة المغرب بعنوان: «قلب جديد.. لمن يريد».

وفي يوم السبت ألقى الشيخ محاضرة خاصة بالنساء بعنوان: «دور القرآن في التربية»، بعد صلاة الظهر، وذلك بمركز الرحاب ببحري، وبعد ذلك حضر الشيخ حفل ختام الدورة العلمية الشرعية السادسة عشرة بمعرض الخرطوم الدولي، ثم تحدث الدكتور / عبد العظيم بدوي وأثنى على برنامج الدورة، ووجه نصائح للطلاب، وأوضح أن جماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان ومصر يجمعهما منهج واحد.

وفي ختام الحفل قام الشيخ مع فضيلة الشيخ أبو زيد محمد حمزة، الرئيس العام للجماعة بالسودان بتكريم أوائل الدورة العلمية في مستوياتها الثلاثة وحفظة القرآن وأساتذة الدورة.

والله ولي التوفيق.

إشهــــــارات

تم بحمد الله تعالى إشهار الفروع التالية:

١- فرع أنصار السنة المحمدية، «ابيانه» – مطوبس – محافظة كفر الشيخ، تحت رقم (٣٣٠٣) بتاريخ ٢٠١١/٥/٣٠م.

٢- فرع أنصار السنة المحمدية، بقفادة، قرية قفادة مركز مغاغة، محافظة المنيا، تحت رقم (٢٢١٥) بتاريخ ٢٠١١/٧/٥م.

رمضان ١٤٣٢ هـ

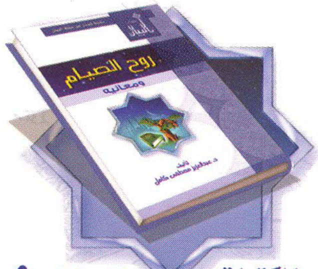
التوحيد

إمساكية شهر رمضان المبارك لسنة ١٤٣٢ هـ ٢٠١١ م

أيام الأسبوع	رمضان ١٤٣٢ هـ	أغسطس ٢٠١١ م	المواقيت الشرعية حسب التوقيت المحلي لمحافظة القاهرة					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د . س	د . س	د . س	د . س	د . س	د . س
الإثنين	١	١	٣:٣٥	٥:١٣	١٢:٠١	٣:٣٨	٦:٤٩	٨:١٦
الثلاثاء	٢	٢	٣:٣٦	٥:١٤	١٢:٠١	٣:٣٨	٦:٤٩	٨:١٥
الأربعاء	٣	٣	٣:٣٧	٥:١٥	١٢:٠١	٣:٣٨	٦:٤٨	٨:١٤
الخميس	٤	٤	٣:٣٨	٥:١٥	١٢:٠١	٣:٣٨	٦:٤٧	٨:١٣
الجمعة	٥	٥	٣:٣٩	٥:١٦	١٢:٠١	٣:٣٨	٦:٤٦	٨:١٢
السبت	٦	٦	٣:٤٠	٥:١٦	١٢:٠١	٣:٣٨	٦:٤٥	٨:١١
الأحد	٧	٧	٣:٤١	٥:١٧	١٢:٠١	٣:٣٨	٦:٤٥	٨:١٠
الإثنين	٨	٨	٣:٤١	٥:١٨	١٢:٠١	٣:٣٨	٦:٤٤	٨:٠٩
الثلاثاء	٩	٩	٣:٤٢	٥:١٨	١٢:٠١	٣:٣٧	٦:٤٣	٨:٠٨
الأربعاء	١٠	١٠	٣:٤٣	٥:١٩	١٢:٠٠	٣:٣٧	٦:٤٢	٨:٠٧
الخميس	١١	١١	٣:٤٤	٥:١٩	١٢:٠٠	٣:٣٧	٦:٤١	٨:٠٦
الجمعة	١٢	١٢	٣:٤٥	٥:٢٠	١٢:٠٠	٣:٣٧	٦:٤٠	٨:٠٥
السبت	١٣	١٣	٣:٤٦	٥:٢١	١٢:٠٠	٣:٣٧	٦:٣٩	٨:٠٣
الأحد	١٤	١٤	٣:٤٧	٥:٢١	١٢:٠٠	٣:٣٦	٦:٣٨	٨:٠٢
الإثنين	١٥	١٥	٣:٤٨	٥:٢٢	١٢:٠٠	٣:٣٦	٦:٣٧	٨:٠١
الثلاثاء	١٦	١٦	٣:٤٨	٥:٢٢	١١:٥٩	٣:٣٦	٦:٣٦	٨:٠٠
الأربعاء	١٧	١٧	٣:٤٩	٥:٢٣	١١:٥٩	٣:٣٦	٦:٣٥	٧:٥٩
الخميس	١٨	١٨	٣:٥٠	٥:٢٤	١١:٥٩	٣:٣٥	٦:٣٤	٧:٥٧
الجمعة	١٩	١٩	٣:٥١	٥:٢٤	١١:٥٩	٣:٣٥	٦:٣٣	٧:٥٦
السبت	٢٠	٢٠	٣:٥٢	٥:٢٥	١١:٥٩	٣:٣٥	٦:٣٢	٧:٥٥
الأحد	٢١	٢١	٣:٥٣	٥:٢٥	١١:٥٨	٣:٣٤	٦:٣١	٧:٥٤
الإثنين	٢٢	٢٢	٣:٥٤	٥:٢٦	١١:٥٨	٣:٣٤	٦:٣٠	٧:٥٢
الثلاثاء	٢٣	٢٣	٣:٥٤	٥:٢٦	١١:٥٨	٣:٣٤	٦:٢٩	٧:٥١
الأربعاء	٢٤	٢٤	٣:٥٥	٥:٢٧	١١:٥٨	٣:٣٣	٦:٢٨	٧:٥٠
الخميس	٢٥	٢٥	٣:٥٦	٥:٢٨	١١:٥٧	٣:٣٣	٦:٢٧	٧:٤٨
الجمعة	٢٦	٢٦	٣:٥٧	٥:٢٨	١١:٥٧	٣:٣٢	٦:٢٦	٧:٤٧
السبت	٢٧	٢٧	٣:٥٨	٥:٢٩	١١:٥٧	٣:٣٢	٦:٢٥	٧:٤٦
الأحد	٢٨	٢٨	٣:٥٨	٥:٢٩	١١:٥٦	٣:٣١	٦:٢٤	٧:٤٤
الإثنين	٢٩	٢٩	٣:٥٩	٥:٣٠	١١:٥٦	٣:٣١	٦:٢٢	٧:٤٣
الثلاثاء	٣٠	٣٠	٤:٠٠	٥:٣٠	١١:٥٦	٣:٣٠	٦:٢٠	٧:٤٢

الآن يمكنك إقتناء حقيبة كتب رمضان

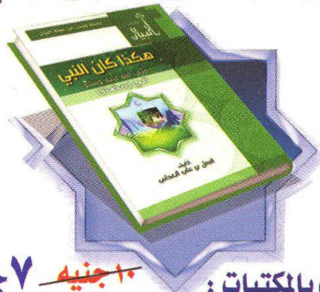
حقيبة بيّتات فقط ٢٥ جنيها بدلا من ~~٤٠~~ جنيها



إلى أي شئ ترتاح روحك؟؟ أيكون الصيام يوما روحك؟؟ فما روح الصيام ؟؟
غاية هذا الكتاب تذكير النفوس والناس بروح الطاعات والعبادات فى الشهر الكريم .. لتنموا الطاعة وتتحول إلى سجية فى بقية شهور العام بإيجاد المرغبات واستعراض المرهبات التى تعين على اعادة الروح لأعمال العبادة وحتى لاتتحول إلى عادة تفقدنا معانى العبودية المطلوبة ..

سعر الكتاب بالعرض

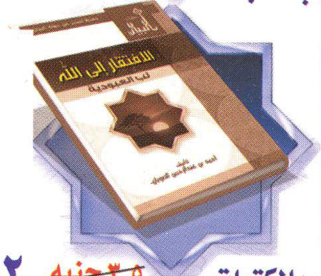
سعر الكتاب بالمكتبات : ~~١٥ جنيه~~ ٩ جنيه



ولما كان شهر رمضان المبارك من اعظم مواسم الاسلام وأجلها ومن أكثر الفرص السانحة امام العبد لكي يتقرب من خالقه تعالي وينال رضاه باتباع سنة نبيه .. لذا كانت الحاجة ماسة لتعرف على هديه فى تسعة رمضانات صامها فى حياته العامرة بالاجتهاد فى التعبد والطاعة .. لذا حاولنا سبر أخباره واستنطاق احواله ..لاضاءة الاقتداء بأتقي الخلق لربه تعالي ..

سعر الكتاب بالعرض

سعر الكتاب بالمكتبات : ~~١٠ جنيه~~ ٧ جنيه

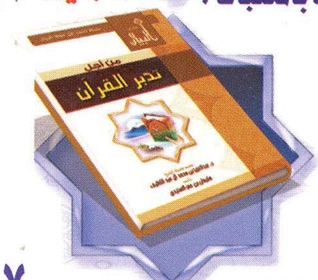


غاية الذل لله مع غاية الحب .. افتقار الى الله
التعلق بالله و الانس به .. افتقار الى الله
مداومة الذكر والاستغفار .. افتقار الى الله
الوجل من عدم قبول العمل .. افتقار الى الله
خشية الله فى السر والعلن .. افتقار الى الله

الافتقار الى الله

سعر الكتاب بالعرض

سعر الكتاب بالمكتبات : ~~٣,٥ جنيه~~ ٢ جنيه



أهمية تدبر القرآن
أمور شرعت من أجل تدبر القرآن والتأثر به
صوارف تحول دون تدبر القرآن
درجات تدبر القرآن ..علاقة القارئ بالقرآن
من سبل تدبر القرآن .. صور من تدبر القرآن

تدبر القرآن الكريم

سعر الكتاب بالعرض

سعر الكتاب بالمكتبات : ~~١٢ جنيه~~ ٧ جنيه

0196843223

مجلة البيان

اطلبه الآن من : ماس للتوزيع وكيل إصدارات مجلة البيان

١٢ ش رفاعة من الخليفة المأمون روكسي القاهرة

تليفاكس : ٠٢٢٤٥٥٧٦٧٧ - ٠٢٢٤٥٤٩٥٥٧ - 0196843223 - ٠١٤٤٤١٦٦٨٨

mass4distripution@yahoo.com